

مجلة تشكرية

عدد: 163 Issue No:

شهر آذار March 2021



المسيح

Φ Ω Σ



نور

ΧΡΙΣΤΟΥ



جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

أحد الأرثوذكسية



إنتصار العقيدة الأرثوذكسية،

على زمن الملكين، ثاودورة وابنها ميخائيل ٧٨٧م؛

أيقونة من القرن ١٤،

المتحف البريطاني

كنيسة الروم الأرثوذكس

هي الكنيسة التي تحافظ على وديعة الإيمان
والعقيدة والتقليد واللاهوت المستقيم والحقيقي،
منذ حلول الروح القدس على التلاميذ الأطهار،
وحتى مجيء المسيح الثاني الذي سيدين الأحياء والأموات (ومن ضمنهم الهراطقة).

الكنيسة الرومية الأرثوذكسية المقدسة يقودها السيد المسيح بروحه القدس



القديسة والدة الإله الدائمة البتولية مريم:

✠ لم يكن التجسد عمل الله وحده، بل حصل أيضاً بداعي إرادة العذراء وإيمانها. (القديس نيقولا كاباسيلاس).

✠ مَنْ لا يقبل القديسة مريم على أنها والدة الإله فهو مفصول وغريب عن الله. (القديس غريغوريوس اللاهوتي).

✠ إِنْ كَانَ رَبَّنَا يسوع المسيح إلهًا، فَلِمَ لا تكون العذراء القديسة التي ولدته والدة الإله؟ ثُمَّ أَنَّ هذا المعتقد قد نقله إلينا الرُّسل الإلهيون، حتَّى ولو لم يأتوا على ذكر هذه الصفة (THEOTOKOS) (ثيوتوكوس). إذ حالما يقبل المرء بألوهية المولود من العذراء القديسة، لا يصعب عليه من ثَمَّ القبول بتلك التي ولدته على أنها والدة الإله، كما ولا يصعب عليه مُناداتها بهذا الاسم؛ بل ومن الطبيعي أن يعترف بذلك. (القديس كيرلس الإسكندري).

✠ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لا يعترف بأنَّ عَمَّانُوئِيل هو الله حقًا، وأنَّ العذراء القديسة من ثَمَّ هي أم الله، فليكن مُبْسَلًا. (القديس كيرلس الإسكندري).

✠ ليس في وسع أحد أن يفهم معنى إنجيل يوحنا ما لم يتكىء على صدر يسوع أولاً، ويقبل من يسوع أن تكون مريم أمه هو أيضاً. (العلامة أوريجانوس).

✠ ما من إنسانٍ قادرٍ أن يتخذ الله أبًا له إِنْ لم تكن الكنيسة أمه. (القديس كبريانوس القرطاجي).

✠ الكنيسة هي فردوس أرضي فيه يسكن الإله الفائق السموات ويتمشى. (القديس جرمانوس).

تُناشد جمعية نور المسيح الكهنة وجميع المؤمنين قراء هذا الإعلان، بإرسال موقع الجمعية لأكثر عدد ممكن من الأشخاص من خلال شبكات التواصل، ليتسنى للراغبين في قراءة نشرات الآحاد والمجلة الشهرية، وخاصة لدى الأخوة في المملكة الأردنية الهاشمية، في ظل هذه المرحلة مرحلة انتشار فيروس الكورونا. وكما قال ربنا يسوع المسيح: «وَمَنْ سَقَى أَحَدَ هَؤُلَاءِ الصَّغَارِ كَأْسَ مَاءٍ بَارِدٍ فَقَطْ بِاسْمِ تَلْمِيذٍ، فَالْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَا يَضِيعُ أَجْرُهُ». (مت ١٠: ٤٢)

تتمنى جمعية نور المسيح لجميع المؤمنين حياة روحية وجسدية سليمة.

<http://lightchrist.org/bulletins.html>

محتويات العدد

الكنيسة الرومية ...	2
كلمة غبطة البطريرك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث	3
عجائب العذراء ...	4
المسيح ويوحنا المعمدان	5
-----	6
-----	7
الصوم - باسيليوس الكبير	8
-----	9
-----	10
-----	11
أحد الأرثوذكسية	12
-----	13
-----	14
سيرة القديس نكتاريوس	15
الإيمان القويم - الذهبي الفم	16
ضد العرافة والسحر	17
خطاب نافع للنفس	19
-----	19
-----	20
الفرق بين كنيسة الرُّوم والبابا	22
-----	23
العظات الثماني عشرة	24
عن المعمودية	

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح

كفرنا - الشارع الرئيسي - ص.ب. ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدمع نشاطات الجمعية تقبل التبرعات مشكورة
في بنك العمال فرع الناصرة، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المعزول المسؤول: هشام خشيون - سكرتير جمعية نور المسيح

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة أورشليم كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالثة بمناسبة عيد شفيعة القديس الشهيد ثيوفيلوس الذي مع الشهداء الأربعين ٢٨-٣-٢٠٢٠

نِعْمَةً وَحَقًّا. (يو: ١٤)، لهذا فقد أهل
الجنديّة العالميّة هؤلاء مجاهدو الرَّبِّ المغبوطون
الأربعون وكرزوا بالمسيح الإله الحي الذي
أشرق في قلوبهم نور معرفة مجد الله الآب في
شخص المسيح.

إن هذه الشهادة، شهادة مجد الله الآب في
ابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح التي يُركز بها إلى
الأبد من موقع الجلجلة، ومن مكان موته
ودفنه الثلاثي الأيام في كنيسة القيامة المقدسة.
هذه الشهادة التي تَمَثَّلَ واقتدى بها جميع
شهداء المسيح ومن تُعيد لهم اليوم الشهداء
الأربعين، لهذا فقد صنعنا الذبيحة غير الدموية
أي سِرِّ الشكر الإلهي، ورفعنا الحمد والتسبيح
والمجد لإلهنا في كنيسة القيامة المقدسة.

إن أبا الكنيسة المتوشح بالله باسيليوس الكبير في مديحه للشهداء
الأربعين يقول: «خلع كل واحد ثيابه عن آخرها وساروا إلى الموت،
موت الجليد، حاثين إيانا أن نتمسك بإيمانهم قائلين: لسنا نخلع ثوبنا
بل الإنسان العتيق الفاسد بشهوات الغرور، إنا نشكرك يا رب على
أننا بَتَجَرُّدِنَا من هذا الرداء نطرح الخطيئة. لقد تردينا بمشورة الحياة
وها نحن ننزع لأجل المسيح.»

لهذا عينه فإن الشهداء الأربعين أيها الإخوة الأحبة يدعوننا اليوم في
تذكارتهم المقدس، ونحن في ميدان الصوم الأربعيني الكبير لكي تَمَثَّلَ
ونقتدي بفكرهم، هؤلاء القديسين لابسِي المسيح كما يقول القديس
باسيليوس الكبير المتوشح بالله: «إن لهم أبا واحداً هو الله، وجميعهم
إخوة لم يلد لهم رجلٌ وامرأة، بل وُلِدُوا بتني الروح القدس وآلفت
بينهم وحدة المحبة المتبادلة.»

إن حقايرنا البطريركية تحمل اسم القديس ثيوفيلوس المستشهد مع
الشهداء الأربعين، لذلك فقد رفعنا المجد والشكر للإله الواحد المثلث
الأقانيم في هذا العيد المُوقَّر، وأيضاً لدعوتنا لهذه الرسالة الرعوية أي
الرعاية الأبوية لكنيسة أورشليم المقدسة من جهة ورئيس طغمة رهبان
أخوية القبر المقدس من جهة أخرى.



« لقد احتمل الشهداء القديسون الآلام
الحاضرة بشجاعة لفرحهم بالخيرات المرجوة.
يقول بعضهم لبعض ألعنا ننزع عنا أثواباً، لا
بل إنما نخلع الإنسان العتيق، الشتاء قاسٍ
لكن الفردوس حلٌّ لطيفٌ. دنق الجليد أليِّمٌ
(دنق الشيء : استقصاه، بلغ غايته) ولكن
النعيم لذيذٌ فلا نجزعن ولا نُثْنِيَّ عزمًا يا رفقاء
في الجنديّة. بل لنصبرن على الضَّيِّم قليلاً
فَنُتَوَّجَ بأكاليل الظفر من لدن المسيح الإله
مخلص نفوسنا.»

سعادة القنصل العام لدولة اليونان السيد
خريستوس سُفينوبولس المحترم
أيها الآباء الأجلاء والإخوة المحترمون،
أيها الزوار المسيحيون الحسنو العبادة،

يُعَلِّمُ القديس يوحنا الدمشقي عن نفوس القديسين الأبرار: إن الله
حياة ونور. ومن هم بين يديه هم في الحياة والنور، فقد استند في
تعليمه على قول الكتاب الإلهي: «أَمَّا نُفُوسُ الصَّادِقِينَ فَهِيَ بِيَدِ
الله، فَلَا يَمَسُّهَا الْعَذَابُ.» (حك ٣: ١). وأيضاً: «كُتِبَ بَيْنَ يَدَيِ
الرَّبِّ مَوْتُ أَبْرَارِهِ.» (مز ١١٥: ٥).

حقاً إنه كُتِبَ في يَدَيِ الرَّبِّ موت أبراره، ومن بين هؤلاء الأبرار من
تُكرمهم كنيستنا المقدسة هم الشهداء القديسون العظماء الأربعون
شهيداً، والقديس ثيوفيلوس المستشهد معهم في بحيرة سبسطية.
الذين لم يجزعوا من وعيد وتهديدات مضطهديهم، ولا من التعذيبات
بل تسلحوا بالسَّلاح الإلهي، صليب المسيح كما يقول مرنم
الكنيسة: «أيها القديسون الشهداء كيف لا نتعجَّب من جهاداتكم
لأنكم بجسمٍ فانٍ، قهرتم الأعداء الذين لا أجسام لهم، ولم يُهَوِّلْكم
وَعِيدُ المغتصبين، ولا أُرهِتْكم صدمات التعذيب فبالحقيقة تمجدتم
بواجبٍ من المسيح المانح نفوسنا عظيم الرحمة.»

لقد تمجَّد القديسون الأربعون شهيداً باستحقاق من المسيح، وذلك
لأنهم التهبوا غيرَةً ليس من أجل مجد الناس، بل من أجل أن يُظهروا
مجد الله الآب، كما يقول القديس يوحنا الإنجيلي: «وَالْكَلِمَةُ صَارَ
جَسَداً وَحَلَ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْداً كَمَا لَوْحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءاً

أدعو جميع من شاركنا اليوم في هذه الصلاة الذين حضروا والذين تغيبوا لصعوبة وصولهم وذلك بسبب وباء الكورونا، متضرعين أن يمنحهم الله قوة من العلاء، ونعمة من القبر القابل للحياة وصبراً وكل بركة من لدن الله مخلصنا، مُعبراً لكم عن شكري الحارّ وعن كل الذين تكلموا سيادة المطران أريسترخوس السكرتير العام الذي تكلم نيابة عن أعضاء أخوية القبر المقدس.



الداعي لكم بحارة بالرب
البطريك ثيوفيلوس الثالث
بطريك المدينة المقدسة اورشليم

أي فضيلة وأي مديح ينبغي للقديسين هؤلاء الذين سفكوا دماءهم من أجل المسيح الذي أخلى ذاته آخذاً صورة عبد، هؤلاء شهداء المسيح القديسين قد جاهدوا على الأرض وحطموا العدو وألغوا ضلالة الأوثان، ولأنهم كانوا حائزين على النعمة فقد شفوا المرضى وأحيوهم وكانوا عجائبين في نهايتهم. سامعين لأقوال ربنا ومخلصنا يسوع المسيح: «ثُمَّ دَعَا تَلَامِيذَهُ الْاثْنَيْ عَشَرَ وَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا عَلَى أَرْوَاحٍ بَاسَّةٍ حَتَّى يُخْرِجُوهَا، وَيَشْفُوا كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ.» (متى ١٠: ١)

ختاماً نتضرع نحن اليوم إلى القديسين الشهداء الأربعين والقديس ثيوفيلوس المستشهد معهم، لما لهم من دالة في السماوات لكي يتشفعوا مع سيدتنا والدة الإله الدائمة البتولية مريم متضرعين إلى المسيح المصلوب، طبيب نفوسنا وأجسادنا أن يخلصنا وينجينا وينجي العالم أجمع من هذه الجائحة الكبرى، أي مرض الكورونا المنتشر، ويؤهلنا لأن نُعيد لقيامه مخلصنا يسوع المسيح البهية. لهذا



إنجاب طفل

هذا ما روته الجدّة بيتسا إلى رئيسة الدير، دير العذراء مالفقي العامر للروم الأرثوذكس في اليونان.

كوستاس وأثناسيا سيوما من تريкала (قرب ميتاورا) في اليونان لم يكن لديهم أولاد، رغم المحاولات المتكررة من لدن الأطباء، فقد باءت هذه المحاولات بالفشل الذريع، فلم يستطع الأطباء تحقيق رغبة الزوجين كوستاس وأثناسيا بأن يكون لديهم أولاد.

لكن والدة أثناسيا (الجدّة) بيتسا، كانت تُصَلِّي باستمرار من أجل كوستاس وأثناسيا. أن تُمنَّ عليهم العذراء بالأطفال.

في رؤية، ظهرت السيّدة العذراء الى الجدّة قائلة: سوف أمنحهم أولاداً، عندها قطعت الجدّة نذراً للعذراء، مفاده أنه اذا تحققت هذه الرؤية، فسوف تذهب الجدّة للعمل في الدير كإحدى العاملات.

العذراء الكلية القداسة أوفت مشيئتها ورغبتها، فعندما حملت أثناسيا ابنتها (ابنة الجدّة)، غادرت الجدّة بيتسا للتو تريкала متّجهة نحو دير مالفقي لتعمل هناك كإحدى العاملات في الدير.

عندما وُلِدَ الطفل بِنَيوتيس، كانت الجدّة بيتسا هنا تعمل بدير مالفقي للعذراء مريم.

بتاريخ ٢٠٠١/٦/٢٢ تمّ تعميد الطفل في دير العذراء مالفقي

العامر للروم الأرثوذكس. حيثُ أخذ الطفل إِبَّان معموديّته اسم بِنَيوتيس. (اسم بِنَيوتيس مشتق من كلمة بَنَجِيّا - الفائقة القداسة).

عملت الجدّة بيتسا في دير مالفقي للعذراء مريم، قرابة السنتين والنصف، حيث قامت بالأعمال الصعبة والمضنية، وبالأساس كانت تعمل في حديقة الدير الرحبة والواسعة، حيث درجات الحرارة منخفضة وبشكل خاص أيام الشتاء.

جميعهم يقدّمون للعذراء مريم حيث دبرها العامر مالفقي، خالص الشكر والعرفان، وبحرارة مُفعمة بالحبّ والتقدير، لتلك الهدية والنعمة الكبيرة إذ منحت ما وعدت به، فأغدقت عليهم بالأطفال.

والآن جميعهم مع الجدّة يسكنون سوياً في تريкала - في أواسط اليونان.



فصل شريف من بشارة القديس متى الانجيليّ البشير التلميذ الطاهر (متى ١١: ٢-١٥)

وَلَمَّا اكْمَلَ يَسُوعُ أَمْرَهُ لِتَلَامِيذِهِ الْاِثْنَيْ عَشَرَ، انصَرَفَ مِنْ هُنَاكَ لِيُعَلِّمَ وَيَكْرِزَ فِي مَدَنِيهِمْ. أَمَّا يُوْحَنَّا، فَلَمَّا سَمِعَ فِي السَّجْنِ بِأَعْمَالِ الْمَسِيحِ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلَامِيذِهِ، يَقُولَانِ لَهُ: «أَأَنْتَ الْآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟» فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمَا: «أَذْهَبَا وَأَعْلِمَا يُوْحَنَّا بِمَا سَمِعْتُمَا وَرَأَيْتُمَا: الْعُمَيَانِ يُبْصِرُونَ، وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ، وَالْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ، وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ، وَالْمَسَاكِينُ يُبَشِّرُونَ. وَطُوبَى لِمَنْ لَا يَشْكُ فِيَّ». فَلَمَّا ذَهَبَ هَذَانِ، جَعَلَ يَسُوعُ يَقُولُ لِلْجُمُوعِ عَنْ يُوْحَنَّا: «مَاذَا خَرَجْتُمْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ تَنْتَظِرُونَ أَقْصَبَةً تَحْرِكُهَا الرِّيحُ؟ أَمْ مَاذَا خَرَجْتُمْ تَنْتَظِرُونَ إِنْسَانًا لَا يَسَا ثِيَابًا نَاعِمَةً؟ هُوَذَا الَّذِينَ عَلَيْهِمُ اللَّيْسَانُ النَّاعِمُ هُمْ فِي بُيُوتِ الْمُلُوكِ. أَمْ مَاذَا خَرَجْتُمْ تَنْتَظِرُونَ أَنْبِيَاءَ؟ نَعَمْ، أَقُولُ لَكُمْ، وَأَفْضَلُ مِنْ نَبِيِّ. لِأَنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي كُتِبَ عَنْهُ: هَاءَنْذَا مُرْسَلًا مَلَاكِي أَمَامَ وَجْهِكَ يَهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَمْ يَقُمْ فِي مَوَالِيدِ النَّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، وَلَكِنْ الْأَصْغَرُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ. وَمِنْ أَيَّامِ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ إِلَى الْآنَ، مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ يُغْصَبُ، وَالْغَاصِبُونَ يَخْتَطِفُونَهُ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالنَّامُوسِ تَنَبَّأُوا إِلَى يُوْحَنَّا. وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْبَلُوا، فَهَذَا إِيَلَيَا الْمُرْمَعُ أَنْ يَأْتِيَ. مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ.

ذَاكَ قَالَ لِي: الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلًا وَمُسْتَقِرًّا عَلَيْهِ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ.» (يو ١: ٣٣).

أَمْ تَرَى رُوحَ اللَّهِ «نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ» (متى ٣: ١٦).

أَمْ تَسْمَعُ صَوْتَ الْآبِ! (متى ٣: ١٧)،

أَمْ تُمانِعُهُ أَنْ يَعْتَمِدَ مِنْكَ، قَائِلًا: «أَنَا حُتَّاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!» (متى ٣: ١٤).

أَمْ تُقِلُّ لِتَلَامِيذِكَ: «يَنْبَغِي أَنْ ذَلِكَ يَزِيدَ وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ.» (يو ٣: ٣٠).

أَمْ تُعَلِّمُ الْجُمُوعَ أَنَّهُ سَوْفَ يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ، وَبِنَارِ النِّعْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ! (لو ٣: ١٦)، وَأَنَّهُ حَمَلُ اللَّهِ الرَّافِعِ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ! (يو ١: ٢٩).

أَمْ تَكْرِزُ بِكُلِّ ذَلِكَ قَبْلَ آيَاتِهِ وَعَجَائِبِهِ! وَالْآنَ، بَعْدَ أَنْ عَرَفَهُ الْجَمِيعُ، وَذَاعَتْ شُهْرَتُهُ وَأَقَامَ الْأَمُوتَ وَطَرَدَ الشَّيَاطِينَ، وَتَمَّتْ مِثْلَ هَذِهِ الْعَجَائِبِ الْهَامَّةِ، كَيْفَ تُرْسِلُ تَلَامِيذَكَ لِيَسْتَخْبِرُوا عَنْ شَخْصِيَّتِهِ؟!

مَنْ الْوَاضِحُ أَنَّ يُوْحَنَّا لَمْ يُرْسِلْ تَلَامِيذَهُ بِسَبَبِ شَكِّهِ، وَلَمْ يَسْأَلْ عَنْ يَسُوعَ بِسَبَبِ عَدَمِ مَعْرِفَتِهِ، أَوْ بِسَبَبِ غَيْرَتِهِ. إِذَا، لِمَاذَا أُرْسِلَ تَلَامِيذَهُ

لِيَسْأَلُوا يَسُوعَ؟

وَلَمَّا اكْمَلَ يَسُوعُ أَمْرَهُ لِتَلَامِيذِهِ الْاِثْنَيْ عَشَرَ، انصَرَفَ مِنْ هُنَاكَ لِيُعَلِّمَ وَيَكْرِزَ فِي مَدَنِيهِمْ. (متى ١١: ١).

بَعْدَ أَنْ أُرْسَلَ تَلَامِيذُهُ إِلَى الْكَرَازَةِ (متى ١٠)، ابْتَعَدَ هُوَ بِنَفْسِهِ عَنْ تِلْكَ الْمُنْطَقَةِ، لِكَيْ يُعْطِيَهُمُ الْوَقْتَ وَالْفُرْصَةَ لِكَيْ يَقُومُوا بِمَا إِنْصَاهِهِمْ بِهِ. لِأَنَّهُ بِحُضُورِهِ وَبِشِفَاءِ الْمَرْضَى، لَنْ يَتَوَجَّهَ أَحَدٌ إِلَى التَّلَامِيذِ.

أَمَّا يُوْحَنَّا، فَلَمَّا سَمِعَ فِي السَّجْنِ بِأَعْمَالِ الْمَسِيحِ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلَامِيذِهِ، يَقُولَانِ لَهُ: «أَأَنْتَ الْآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟»

يَذْكُرُ الْإِنْجِيلِيُّ لُوقَا أَنَّ تَلَامِيذَ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ أَنْفُسَهُمْ حَدَّثُوا مُعَلِّمَهُمْ عَنْ عَجَائِبِ يَسُوعَ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَرْسَلَهُمْ (لو ١٨: ١٩-١٨). لَا يُؤَلِّدُ هَذَا الْكَلَامُ أَيَّ تَشْكِيكِ فِي الْمَوْضُوعِ، لَكِنَّهُ فُرْصَةٌ لِإِظْهَارِ غَيْرَةِ تَلَامِيذِ يُوْحَنَّا بُحْبُوحَةِ يَسُوعَ. أَمَّا السُّؤَالُ: أَأَنْتَ الْمَسِيحُ الَّذِي نَنْتَظِرُهُ أَمْ يَجِبُ أَنْ نَنْتَظِرَ آخَرَ؟ فَيَحْتَاجُ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْإِيضَاحِ:

لَقَدْ عَرَفَ يُوْحَنَّا يَسُوعَ قَبْلَ الْعَجَائِبِ، عِنْدَمَا أَعْلَنَ لَهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَنْ أُلُوهِيَّتِهِ. وَسَمِعَ الصَّوْتَ مِنَ الْآبِ يَكْرِزُ بِهِ (الابنُ الْحَبِيبُ) لِكُلِّ النَّاسِ. فَمَا الَّذِي جَعَلَهُ الْآنَ يُرْسِلُ تَلَامِيذَهُ إِلَى يَسُوعَ لِيَسْتَعْلَمُوا إِنْ كَانَ الْمَسِيحُ أَمْ لَا؟

أَلَمْ تُقُلْ: «وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ، لَكِنَّ الَّذِي أُرْسَلَنِي لِأَعْمَدَ بِالْمَاءِ،

كان تلاميذ **يوحنا المعمدان** يهربون من **يسوع** ويحسدونه، الأمر الذي يظهر من خلال حديثهم عنه: «فَجَاءُوا إِلَى يُوْحَنَّا وَقَالُوا لَهُ: يَا مُعَلِّمُ، هُوَذَا الَّذِي كَانَ مَعَكَ فِي عَيْرِ الْأَزْدُنْ، الَّذِي أَنْتَ قَدْ شَهِدْتَ لَهُ، هُوَ يُعَمِّدُ، وَالْجَمِيعُ يَأْتُونَ إِلَيْهِ» (يو ٣: ٢٦)؛ «لِمَاذَا نَصُومُ نَحْنُ وَالْفَرِيسِيُّونَ كَثِيرًا، وَأَمَّا تَلَامِيذُكَ فَلَا يَصُومُونَ؟» (متى ١٤: ٩).

هذا كُلُّهُ لَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا قَدْ عَرَفُوا مَنْ هُوَ الْمَسِيحُ. كانوا يعتبرون **يسوع** مجرّد إنسان، بينما كانوا يعتبرون **يوحنا المعمدان** إنسانًا غير عاديّ، فكانوا يضطربون عند رؤيتهم **يسوع** يؤثّر في قلوب سامعيه، ورسالة **يوحنا** تُشرف على نهايتها. هذا كان يمنهم من الاقتراب من **يسوع**، لأنّ حسدهم كان حاجزًا بينه وبينهم. وكان **يوحنا**، من جهته، طيلة فترة وجوده معهم، يحثهم باستمرارٍ ويُعلّمهم، ولم يقتنعوا. لكن، عند اقتراب موته، اهتمّ بالأمر اهتمامًا خاصًا. كان يخشى أن يتركهم بعيدين عن **المسيح**. من البداية اهتمّ بإرشاد أتباعه إلى **يسوع**، لكنّه الآن يقوم بمبادرة أكبر.

ماذا فعل؟

إِنْتَظَرَ لِيَسْمَعَ مِنْهُمْ شَخْصِيًّا أَنَّ **يسوع** يقوم بعجائب. ولم يُرسل إلّا اثنين من التلاميذ، حتى لا يؤلّد السؤال تشكيكًا. كان **المسيح** بالطبع، يعلم فكر **يوحنا**. لم يُجبه عن نفسه، بل جعلهم يتعلّمون من الأحداث نفسها. لأنّ الإنجيل يقول: «وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ شَفَى كَثِيرِينَ مِنْ أَمْرَاضٍ وَأَدْوَاءٍ وَأَرْوَاحٍ شَرِيَّةٍ، وَوَهَبَ الْبَصَرَ لِعُمَيَّانٍ كَثِيرِينَ.» (لو ٢١: ٧). إذا، كإله كان يعلم لأيّ هدفٍ أرسل **يوحنا** تلميذيه؛ لذلك شفى للحال عميانًا وعرجًا وكثيرين غيرهم، لا ليعلّم **يوحنا** - فيوحنا كان يؤمن ب**يسوع** إيمانًا مُطلقًا - بل ليعلّم أولئك الذين كانوا يشكّون فيه. بعد أن شفى المرضى، قال لهما: «اذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوْحَنَّا بِمَا تَسْمَعَانِ وَتَنْظُرَانِ: الْعُمَيُّ يُبْصِرُونَ، وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ، وَالْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ، وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ، وَالْمَسَاكِينُ يُبَشِّرُونَ. وَطُوبَى لِمَنْ لَا يَعْثُرُ فِيَّ» (متى ١١: ٥-٦). مُظهِرًا في الآية الأخيرة، أنّه يعرف ما يضمرون.

فلو قال لهم صراحة: أنا هو **المسيح**، لأعثرهم، ولراحوا يتذمرون من كونه يشهد لنفسه، كما سبق وحصل مع الفريسيين. «فَقَالَ لَهُ الْفَرِيسِيُّونَ: «أَنْتَ تَشْهَدُ لِنَفْسِكَ. شَهِادَتُكَ لَيْسَتْ حَقًّا.» (يو ٨: ١٣). لذلك لم يُقل لهم ذلك، بل تركهم يفهمون كلّ شيء من خلال العجائب، جاعلاً تعليمه موثوقًا به وأكثر وضوحًا، وموجّهًا إيّاهم بطريقة خفية. كانوا يتعثرون من كلّ أعماله، لذلك يكشف لهم عن خطئهم هذا، ويتركّ لهم إعلان هذا الخطأ في أنفسهم، بحيث تكون ضمائرهم شاهدة على هذا التوبيخ، دون أيّ شاهدٍ آخر. وإنّه ليرجو أن يقتربوا منه، لذلك قال لهم: «طُوبَى لِمَنْ لَا يَعْثُرُ فِيَّ»، قاصداً إيّاهم.

شهادة يسوع ليوحنا المعمدان:

«فَلَمَّا ذَهَبَ هَذَانِ، جَعَلَ يَسُوعُ يَقُولُ لِلْجُمُوعِ عَنْ يُوْحَنَّا: «مَاذَا خَرَجْتُمْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ تَنْظُرُونَ أَقْصَبَةً تُحَرِّكُهَا الرِّيحُ؟ أَمْ مَاذَا خَرَجْتُمْ تَنْظُرُونَ أَنْسَانًا لَا بِسَا ثِيَابًا نَاعِمَةً؟ هُوَذَا الَّذِينَ عَلَيْهِمُ اللَّبَاسُ النَّاعِمُ هُمْ فِي بُيُوتِ

الْمُلُوكِ. أَمْ مَاذَا خَرَجْتُمْ تَنْظُرُونَ أَنْبِيَاءَ؟ نَعَمْ، أَقُولُ لَكُمْ، وَأَفْضَلُ مِنْ نَبِيِّ.» (متى ١١: ٧-٩).

لقد حصلَ تلاميذ **يوحنا** على الجواب الكافي، بعد أن تأكّدوا من شخص **يسوع**، من خلال العجائب الصّائرة أمامهم. أن يُصلح مفاهيم الجموع المغلوطة. فالتّاس راحوا يشكّون **يوحنا**، بعد سؤال تلميذيه، جاهلين هدفه. فَبَدَهِىَ أن يستغربوا كيف أنّ الذي شهد مرّاتٍ عديدة **ليسوع**، يتساءل اليوم إن كان هو الآتي أم لا؟ هل يُقاوم عمل **يسوع**؟ هل بات يحسده وهو مسجون؟ هل تراجع عن شهادته؟.

يُحاول **الرّب**، هنا، أن يُعالج هذا الضّعف عند الجموع. لذلك، بعدما انصرف التلاميذ، أخذ يُكلّمهم. لماذا انتظر إلى ما بعد انصرافهما؟ لكي لا يبدو وكأنّه يُمالق **يوحنا** أمامهما. إنّّه يريد أن يُصوّب نظرة الجموع دون أن يفضّح تشكيكهم. يكتفي بإعطاء جوابٍ على ما كان يدور في خلدهم من شكوك، بما أنّه يعرف خفايا أفكار الجميع. لم يُقل لهم ما قاله لليهود: «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِالشَّرِّ فِي قُلُوبِكُمْ؟» (متى ٩: ٤)، لأنّ أفكارهم لم تكن شريرة، بل كانوا يجهلون هدف السؤال. لذا، لم يُرد أن يُكذّبهم، بل اكتفى بتصويب فكرهم، مدافعًا عن **يوحنا**.

بيّن في كلامه أنّ **يوحنا** لم يتراجع عن شهادته الأساسيّة **ليسوع**، إذ ليس ذلك الإنسان الضّعيف الذي يُبدّل رأيه بسهولة، بل هو ثابت الرأي، لا يُفترط بسهولة بالأمانة المؤكّلة إليه.

لم يستند **يسوع** في كلامه إلى رأيه الخاص. بل إلى شهادة الجموع السابقة. كلّ ما عمِلْتُهُ الجموع يشهد على ثبات **يوحنا**. لذلك ذكرهم بأنّهم تركوا مدّغهم وذهبوا إلى البريّة (مَاذَا خَرَجْتُمْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ تَنْظُرُونَ). وراء **يوحنا**، فماذا وجدوا؟ هل وجدوا إنسانًا ركيكًا، يُغيّر رأيه بسهولة؟ هذا منافٍ للمنطق، وغير متلائم مع حماسة الجمهور الذّاهبة إلى البريّة. فالمنطق يقول أنّ الجموع يُسرعون إلى البريّة ليروا إنسانًا عجيبًا، ذا أفكارٍ أشدّ من الصّخر ثباتًا، لا ليروا قصبة تُحرّكها الريح. القصبة ترْمُرُ إلى التّاس الذين يُبدّلون آراءهم بسهولة.

«أَمْ مَاذَا خَرَجْتُمْ تَنْظُرُونَ أَنْسَانًا لَا بِسَا ثِيَابًا نَاعِمَةً؟»: لم يكن **يوحنا** إنسانًا متزعزع الآراء، وقد ثبتّ على هذا الحال حتّى بعد تعرّضه للرفاهيّة. لأنّ بعض التّاس يكون صالحًا في البداية، ولكنّه يفسد بعد حين بسبب رفاهيّة العيش. **يوحنا** لم يكن فاسدًا في طبعه الأساسيّ، ولا فسّد بعد ذلك، لأنّه لم يُسلم نفسه إلى الحياة المُرفّهة؛ ولباسه يدلّ على عدم عبوديته للذّات، كما أنّه لزم البريّة، وصبر على عذاب السّجن. كان بإمكانه، لو أراد، أن يرتدي الألبسة النّاعمة، وأن يُخلّص نفسه من البريّة ومن السّجن، ويعيش في القصور الملكيّة. كان هيرودس يهابه، بالرّغم من توبيخه له. لو كفّ **يوحنا** عن توبيخ الملك، لما كان هذا الأخير سجنه، بل لكان كرمه كثيرًا. هذه الحجج كلّها تُزيل شكوك الجموع في شأن **يوحنا**.

بعد أن وصّف **الرّب** أخلاق **يوحنا**، من خلال موضع سكناه، ومن خلال لباسه، ومن خلال إسرار الجموع إليه، راح يتكلّم عنه كنبّي،

فأضاف:

«لأنَّ هذا هو الذي كُتِبَ عَنْهُ: هَاءَ نَدَا مُرْسَلًا مَلَائِكِي أَمَامَ وَجْهِكَ يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ.» (متى ١٠: ١١) (ملاخي ٣: ١).

إِسْتَدَّ أَوَّلًا إلى شهادة اليهود، وهم أعداؤه، ثُمَّ إلى حياة الرُّجُل، وأخيرًا إلى شهادة **النبي**، قاطعًا الطريق على كُلِّ احتجاج. وعندما قال إنه «أَفْضَلُ مِنْ نَبِيٍّ»، أظهرَ السَّبَب، ألا وهو أنه قريب جدًا ممَّن كان ينبغي له أن يأتي: «أُرْسِلُ مَلَائِكِي أَمَامَ وَجْهِكَ يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ.»؛ أي قريبًا منك، على مثال الرجال الذين يتقدمون العربة الملكية. هكذا، فإنَّ **يوحنا** يتقدم **بجيء الرب** على الأرض.

لاحظ كيف يُبَيِّن **يسوع** بإطرادٍ، سمو **يوحنا**. ولم يَقف عند هذا الحد، بل أضاف انطباعًا خاصًا:

«الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَمْ يَقُمْ فِي مَوَالِيدِ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، وَلَكِنَّ الْأَصْغَرَ فِي مَلَكَوَتِ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ.» (متى ١١: ١١).

يقول: لم تُلِد امرأة قط إنسانًا أعظم منه. تكفي شهادة **الرب** هذه. لكن، إن أردت أن تستخبر عن حقيقته من خلال الوقائع الحسية، فانظر إلى مائدته، إلى تصرفه، إلى سمو تفكيره. كان يعيش كأنه في السماء، متجاوزًا حاجاته الطبيعية، بسيرة عجيبة، عائشًا وسط التسابيح والصَّلوات. لم يتعاط مع إنسان، بل كانت شركته دائمًا مع **الله**. لم يعتد باللبن، ولا استلقى على فراش، ولا عَرَفَ سَقْفًا، ولا أيَّ شيء من الأشياء البشرية. وفي الوقت نفسه، بقي هادئًا وشجاعًا.

أنظر كيف يُكَلِّم تلاميذه **بوداعة**، والجموع اليهودية **بشجاعة**، ويوبِّخ الملك **بجرأة نادرة**. لذلك بالضبط كان **الرب** يقول عنه: «لَمْ يَقُمْ فِي مَوَالِيدِ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ». ولكن، احترازًا من قيام آية بدعةٍ إثر هذا المديح البالغ، ولئلا يُفَضَّل اليهود **يوحنا على المسيح**، نلاحظ أنَّ **الرب** يستدرك الأمر بكلامه. فكما استفاد تلميذا **يوحنا** وتأذى الباقون عندما اعتبروا **يوحنا** إنسانًا يُغَيِّرُ رأيه بسهولة، هكذا يُمكن أن يتأذى الشعب إن رأوا مرتبة **يوحنا** أرفع من مرتبة **المسيح**. لهذه الأسباب استدرك **الرب** الأمر، وفاجأهم بالقول: «لَكِنَّ الْأَصْغَرَ فِي مَلَكَوَتِ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ.» . الأصغر بحسب السنِّ، وبحسب رأي الكثيرين. **الرب** هو المقصود هنا، لأنهم قالوا عنه «يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ» (متى ١٩: ١١)؛ «أَلَيْسَ هَذَا ابْنُ النَّجَّارِ» (متى ١٣: ٥٥)، ولطالما تكلموا عنه بازدراء.

ماذا نقول بعد كُلِّ هذا؟ أَيْجِزِي **الرب** مُفاضلةً بين نفسه وبين **يوحنا**؟ حاشا! فمسألة أفضلية **الرب** على **يوحنا** غير خاضعة للقياس. وقول **يوحنا**: «وَلَكِنَّ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلًا أَنْ أَجْلِحَ جِذَاعَهُ. هُوَ سَيَعْمِدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ.» (متى ١١: ٣) ليس من باب المقارنة. وكذلك قول **بولس الرسول**: «فَإِنَّ هَذَا قَدْ حُسِبَ أَهْلًا لِمَجْدٍ أَكْثَرَ مِنْ مُوسَى» (عب ٣: ٣). وعندما قال **يسوع**: «وَهُوَ ذَا أَعْظَمُ مِنْ سَلِيمَانَ هَهُنَا!» (متى ٤٢: ١١)، لم يكن يقصد المقارنة.

وهَبْ جَدَلًا أنَّ الكلام وردَ من باب المقارنة، فيكون الدَّاعي مُراعاة

ضُعْفِ السَّامعين. فقد كان الجموع مُعجبين **بيوحنا المعمدان** - لا **سيما بعد أسره** - مُكبرين جرأته في توبيخ الملك. سيرته كانت سبب تعلُّق الجموع به.

نَرَى في العهد القديم، ويهدف إصلاح النفوس الضَّالَّة، أسلوب المقارنة بين أشخاص لا يُقَارَن بينهم؛ كما في المزامير مثلاً: «لَيْسَ لَكَ شَبِيهٌ فِي مَا بَيْنَ الْأَلْهَةِ» (مز ٨٥: ٨)؛ «لَيْسَ هُنَاكَ إِلَهٌ مِثْلُ إِلَهِنَا» (مز ٩٦: ١٤).

يَظُنُّ البعض أنَّ **الرب**، بقوله: «وَلَكِنَّ الْأَصْغَرَ فِي مَلَكَوَتِ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ.» (متى ١١: ١١)، يُفَاضِلُ بين **يوحنا** و**الرسل** أو **الملائكة**. لقد ابتعد هؤلاء عن الحقيقة، لذا يقعون في ضلالات كثيرة. فلو أراد مُقارنته **بالرسل**، لَمْ يُمْسِّهِمْ صراحةً؟ والأصحُّ أنه يُشير إلى نفسه بطريقة خفية، متنصلاً من العُجب، ومُداريًا الأذهان المُشكَّكة.

فماذا يعني بملكوت السموات؟

يقصدُ به الخيرات الروحية كُلِّها: كُلُّ ما يوجدُ في **السماء مع الله**. هكذا فإنه يُمَيِّز نفسه عن **يوحنا**. لأنه لَمْ يُولَدْ ولادةً عاديةً كما يُولد سائر النَّاس، بل بطريقة عجيبة، فريدة من نوعها.

«وَمِنْ أَيَّامِ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ إِلَى الْآنَ، مَلَكَوَتِ السَّمَاوَاتِ يُغْصَبُ، وَالْعَاصِبُونَ يَخْطِفُونَهُ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالنَّامُوسَ تَنَبَّأُوا إِلَى يُوْحَنَّا.» (متى ١٢: ١٢-١٣).

ما العلاقة بين هذه الآية وما سَبَقَهَا ؟

العلاقة وثيقة جدًا. فبهذا الكلام يُحقِّق هدفين: يَحْتُ النَّاس على الإيمان به بازدياد؛ ويُوافق على ما جاء عند **يوحنا المعمدان**. فبما أنَّ النبوات كُلُّها تمت **بيوحنا**، يكون **يسوع هو المسيح المنتظر**. وهذا مؤدَّى قوله: «جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالنَّامُوسَ تَنَبَّأُوا إِلَى يُوْحَنَّا.» (متى ١١: ١٣)، أي لم يتوقفوا إلا بسبب مجيئي؛ لذلك، لا تنتظروا أنبياء آخرين. لا تنتظروا أحدًا غيري.

وزيادةً في الإثبات، يَذْكُرُ اختطاف النَّاس الإيمان به. لقد بات هذا الإيمان واضحًا إلى حدٍّ أنَّ الكثيرين يختطفونه بالقوَّة (أي رُغم الضُّغوطات المُتنوعة). والاختطاف هنا يعني الحماسة والاجتهاد (١) في الإقبال على الإيمان بالمسيح.

«وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْبَلُوا، فَهَذَا إِبِلْيَا الْمُرْمَعُ أَنْ يَأْتِي. مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ.» (متى ١٤: ١١-١٥).

يُقَدِّم هنا دليلًا آخر. ف**النبي ملاخي** يقول: «هَآنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِبِلْيَا النَّبِيِّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ، الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمُخَوِّفِ، فَيَرُدُّ قُلُوبَ الْآبَاءِ عَلَى الْأَبْنَاءِ، وَقُلُوبَ الْأَبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ.» (ملا ٤: ٥-٧) (٢).

(١) يوضح زيفافينوس: الإختطاف هنا يعني: بغصب أنفسهم، وبالتغلب عند الضرورة على كُلِّ شهوة وكلِّ إلهاد.

(٢) لكنَّ اليهود لم يكونوا يعلمون أنَّ هذه النبوة قد تحقَّقت بيوحنا المعمدان الذي أتى «بروح إيليا وقوته» (لو ١٧: ١).



تاريخ الصوم:

ربما تظن أنني سأعيد قدم الصوم إلى مرحلة **الناموس الموسوي**. الصوم هو أقدم من **ناموس موسى**. ومع قليل من الصبر ستقتنع من كلامي هذا. لا يخطر ببالك الظن بأن بداية الصوم تعود إلى يوم الكفارة الذي حُدد لإسرائيل في العاشر من الشهر السابع (لا ٢٣: ٢٧). هلمّ تقدم أكثر في التاريخ وأبحث عن قدمه. فإن نظام الصوم لم يبتكر في الأزمنة الحديثة. إن هذه الجوهرة هي من **ميراث آبائنا**. كل شيء يتميز بقدمه جدير بالاحترام والإجلال. فاحترم إذاً رأسه الشاحب. الصوم هو من عمر الإنسانية نفسها. لقد شُرع له **في الفردوس**. إن **آدم** هو الذي تقبل الوصية الأولى للصوم «وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا تَأْكُلْ مِنْهَا» (تك ٢: ١٧). العبارة «لا تأكل» ما هي إلا **شريعة صوم وإمسك**.

لو أن **حواء** لم تأكل من ثمر العود لما كنّا بحاجة إلى الصوم الحاضر. «لَا يَخْتِاجُ الْأَصْحَاءُ إِلَى طَيْبِ بَلِ الْمَرْضَى» (متى ٩: ١٢). لقد ترتّب علينا كثير من الشرور بسبب خطايانا، فلنعالجها إذاً عن **طريق التوبة**. لكن **التوبة بدون صوم** لا تأتي بثمر. «مَلْعُونَةُ الْأَرْضِ بِسَبَبِكَ... وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ» (تك ٣: ١٧-١٨). لقد تسلّمت وصية التعرّف ضمن حدود ولم تعطَ أن تستسلم للملذات الجسد. حسابك **الله** يكون عن طريق الصوم. إن العيش في الفردوس يعكس صورة الصوم. لا لأن الإنسان كان يتشبه بالملائكة عن **طريق القناعة**، بل أيضاً لأنه لم يكن ليعرف في الفردوس كل ما ابتكره الناس بعد ذلك من شرب خمر وذبائح حيوانية وكل ما يعكّر صفو ذهن الإنسان.

لقد طُرِدْنَا من **الفردوس** لأننا لم نصُوم. فَلْنَصُومْ إذاً حتى نعود إليه. ألم تر كيف أن **الفقير لعازر** دخل **الفردوس** عن طريق الصوم (لوقا ١٦)؟ لا تشبه بمعضية **حواء** وتتبع مشورة الحية. لا تتحجّج بالمرض الجسدي. إن هذا التعلّل لا يتوجّه إلّا بل إلى ذلك الذي يعرف حقائق الأمور بالضبط. تقول لي لا أستطيع أن أصوم، لكنك تقدر على إشباع البطن طيلة عمرك، وعلى إجهاد جسدك بنقل المأكّل التي تتناولها. إنني اعلم من جهتي أن الأطباء يصفون **الصوم دواء للمرضى**، لا كثرة المأكّل. كيف تقدر من جهة على إشباع البطن، وتدعي من جهة أخرى أنك لا تقدر على الصوم؟ ما هو الأسهل بالنسبة للبطن؟ أن تمضي الليل

المقدمة:

«ابتهجوا بالله معينا هللوا لإله يعقوب. خذوا زبوراً واضربوا دفاً وانفخوا مزماراً مطرباً مع قيثارة. بوقوا في رؤوس الشهور بالبوق، في يوم عيدكم المعلوم.» (مز ٨٠: ٤). هذا أمرٌ نبويّ. أما بالنسبة لنا، فإن مقاطع **إشعيا** التالية تُنبئ بعيد الأيام المقبلة بصوت يفوق كل بوق، من حيث قوته وكل آلة موسيقية من حيث خاصيّتها. هذه الأقوال تدع جانباً الصوم اليهودي وتُظهر لنا **الصوم الحقيقي** على طريقته القويمة:

«عندما تصومون انظروا أن لا تكونوا في خصومة أو مشاجرة مع الناس الآخرين، بل اجعلوا هدناً لكل ظلم طارئ» (إشعيا ٥٨: ٤-٦). أما **الرب يسوع فيقول**: «وَمَتَى صُمْتُمْ فَلَا تَكُونُوا عَابِسِينَ كَالْمُزَائِنِ... وَأَمَّا أَنْتَ فَادْهِنُ رَأْسَكَ وَاغْسِلْ وَجْهَكَ» (متى ٦: ١٦-١٧). لأنه لا يكفل أحد ولا يحوز على راية الظفر إن كان وجهه عابساً أو قائماً.

لا تكونوا عابسين وأنتم تستعيدون صحتكم. فإنه لا بدّ لنا أن نتهلّل لصحة نفوسنا، ولا مجال للحزن بسبب تبدّل الطعام، وكأننا نُؤثر ملذّات البطن على **منفعة نفوسنا**، لأن الشعب يقف إحسانه عند حدود البطن، أما الربح الناتج عن الصوم فهو ينفذ **إلى النفس**. كُنْ فَرِحًا لأنك أُعْطِيتَ من قِبَلِ طبيبك **دواءً ينزع الخطايا**. لا تُبدّل وجهك كما يفعل المراهون. إن الوجه يتبدل عندما يظلم الداخل مع التظاهر الخارجي، وكأنه مخفي وراء ستار كاذب.

المراثي هو الذي يكون له على المسرح وجه آخر. يرتدي قناع **السيد** وهو في الحقيقة عبد. يلبس قناع **الملك** وهو بالحقيقة من عامة الناس. هكذا أيضاً في الحياة الحاضرة، كثيرون يتظاهرون وكأنهم على المسرح. يكونون على شيء في عمق القلب ويتظاهرون بوجه آخر أمام الناس. أما أنت فلا تُبدّل وجهك. كما أنت هكذا أظهر للآخرين. لا تُبدّل مظهرك عابساً ساعياً وراء الشهرة عن طريق التظاهر بالصوم والإمسك، لأنه لا نفع للإحسان الذي يُطبلّ له، ولا ثمر للصوم الذي يُشهر أمام الناس، أي كل ما يقوم به الإنسان بغية التظاهر أمام الآخرين لا ينفذ إلى الدهر الآتي ولا يتخطى حدّه مدح الناس.

أسرع بفرح إلى **هبات الصوم**. إنّه هبة قديمة العهد لا تعتق ولا تشيخ، بل تتجدد وتزهر على الدوام.

في وثنية المصريين. فاجعلوا أمامكم إذا الأمرين وقارنوا بينهما: أنظروا أن الصوم من جهة **يقرب الإنسان إلى الله**، بينما التمتع من جهة أخرى يقضي على **خلاص نفسه**.

لكن لتتابع طريقنا ونتقدم في التاريخ. من الذي أضعف موقف عيسو وجعله عبداً لأخيه؟ أليس هو طعاماً تناوله وباع من أجله بكوريته لأخيه **(تك ٢٥: ٣١-٣٤)**؟ في المقابل، **يُهدى صموئيل لأمه** عن طريق الصلاة والصوم **(١ ملوك ١: ٧-١١)**؟ ما الذي جعل **شمشون الكبير** لا يُفْهَر، أليس هو **الصوم الذي ساهم في الحبل به؟** لأن **الملاك** أوصى به لأمه قائلاً لها: «ها أنتِ تحبلين وتلدِينَ ابناً. والآن فلا تشربي خَمْراً ولا مُسْكِراً، ولا تأْكُلِي شَيْئاً بَحْساً، لأنَّ الصَّبِيَّ يَكُونُ نَذِيرًا لِلَّهِ مِنَ الْبَطْنِ إِلَى يَوْمِ مَوْتِهِ.» **(قضاة ١٣: ٧)**

الصوم **يؤلّد أنبياء**، **يجعل المشرّعين حكماء**. هو **كنز صالح للنفس**، وسكانه فيها ضمانه. هو سلاح المجاهدين ورياضة المتبارين. هو الذي يُبعد التجارب ويحثّ على التقوى. يواكبه انتباه روحي متواصل. **الصوم يولّد العقّة**. في الحروب يصنع الرجال، وفي السلم **يعلّم الهدوء**. **يقدّس المكرّس لله**، يجعل الكاهن يتقدم أكثر في طريق الكمال، لأنه لا يمكن للكاهن بدون صوم أن يخدم العبادة الإلهية الحاضرة والسريّة فحسب، بل حتى العبادة الناموسية التي **لموسى** أيضاً.

الصوم هو الذي أهّل **إيليا** لتلك الرؤية العظيمة، لأنه بعد أن طهّر نفسه بالصوم **مدّة أربعين يوماً** أهّل لرؤية **الرّب** في مغارة **حوريب** بقدر ما يستطيع للناس أن يروا **الله** **(٣ ملوك ١٩: ٨-١٥)**. وقد أقام **ابن الأرملة** بعد صوم **(٣ ملوك ١٧: ٢٠-٢٣)** متغلباً هكذا على قوّة الموت. من فمه، وبعد صوم طويل، خرج الصوت الذي حبس السماء **مُعاقباً الشعب بسبب معصيته**، وكان ذلك **لمدّة ثلاث سنين وستة أشهر** **(١ ملوك ١٧: ١)**، لأنه إذ أراد أن يطري قلوب الشعب القاسية فضّل أن يحكم على نفسه معهم بالشقاء. لذلك قال: «**حَيَّ هُوَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي وَقَفْتُ أَمَامَهُ، إِنَّهُ لَا يَكُونُ طَلٌّ وَلَا مَطَرٌ فِي هَذِهِ السَّنِينَ إِلَّا عِنْدَ قَوْلِي**». وفرض الصوم عن طريق الجوع الذي حلّ مع الجفاف من أجل تقويم الشعب الذي كان قد استسلم للملذات الجسدية واستفحل الضلال في عيشه.

وأيضاً كيف كانت حياة **أليشع**؟ بأية طريقة استضافته **المرأة الشونمية**؟ فكيف أطعم **الأنبياء** الذين استضافهم؟ ألم تقتصر ضيافته على بعض البقول البريّة وقليل من الطحين؟ لأنه عندما وضعت البقول خطأ في القدر تعرّض الأكلون للموت من جراء الأعشاب السّامة. فجاءت بركة النبي الصّوام، وأبطلت فعل السمّ. **(٢ ملوك ٤: ٣٨-٤٤)**. بكلمة واحدة، لدى فحص الأمور، نجد أن الصوم كان مُرشداً لجميع **القدّيسين** فكان سلوكهم وفقاً **لوصايا الله**.

هناك جسم طبيعي هو **الأميانط (amiant)** (من أنواع الاسبست) لا يحترق في النار ويبدو فيها وكأنه فحم، لكن عندما يُنتشل منها ويُغسل بالماء يزداد لمعاناً. وهكذا استبان مع **أجسام الفتية الثلاثة** لأنها كانت نقيّة. لقد وُجدوا في لhib الأتون وكان أجسادهم من ذهب لا من لحم وعظام، وظهروا عند خروجهم أبهى مما كانوا عليه **(دانيال ٣)**.

هادئاً، مع قليل من الطعام، أم أن تستلقي على الفراش مُثَقلاً بكثرة المأكّل؟ أو قل بالأحرى أن تتقلب متنهداً ومواجهاً خطر القيء من كثرة الأطعمة؟ أو أنك تريد أن تقنعي أنه اسهل على البحارة أن ينفذوا من الغرق مركباً مُثَقلاً بالحمولة من أن ينتشلوا مركباً قليل الحمولة وخفيفاً. هذا لأن المركب الثقيل ما أن ترفعه الأمواج قليلاً حتى يشرف على الغرق، بينما يسهل على المركب الخفيف أن يتجاوز العاصفة لأنه لا يصعب عليه أن يرتفع فوق الأمواج.

إنّ الأجساد التي تنقل بالأطعمة بصورة متواصلة مُعرّضة أكثر للأمراض، إلّا أننا عندما نتناول طعاماً خفيفاً متوازناً، نتجنّب شرّ المرض، كما يتجنّب المركب الخفيف العاصفة وينجو... إلّا إذا اعتبرت، حسب رأيك، أن الاستراحة أضمن من الركض والهدوء أشدّ من العراك. فإذا صحّ قولك هذا يكون أفضل للمرضى أن ينتفخوا بالمأكّل بدل أن يكتفوا بالطعام الخفيف. طعام بسيط يسدّ حاجة كل حيٍّ للغذاء أفضل من مأكّل كثير يُثقله، لأنّه مع كثرة الأطعمة تتعكر عملية التغذية بدخول أمراض متنوعة.

ولكن لتتقدم في تاريخ الصوم ونَتَقَصَّ قِدَمَ تشريعه. كيف تقبله **القدّيسون جميعاً كميّرات آبائي ومارسوه بدقّة مُسلّمين إياه من أب إلى ابنه إلى أن وصل إلينا بالتسلسل**. لم يُعرف الخمر في الفردوس (كما ذكرنا) ولا الذبائح الحيوانية ولا أكل اللحوم. لقد عُرف اللحم والخمر بعد الطوفان لأنه أوصى عند ذلك «**كُلْ دَابَّةً حَيَّةً تَكُونُ لَكُمْ طَعَامًا. كَالْعُشْبِ الْأَخْضَرِ دَفَعْتُ إِلَيْكُمْ الْجَمِيعَ**». **(تك ٩: ٣)**. عندما يئس البشر من بلوغ الكمال الروحي حينئذٍ سمحوا لأنفسهم بالتمتع بكل شيء. والبرهان على أن البشر لم يعرفوا الخمر هو **نوح** كان يجهل استعمال الخمر: لم يرَ أحداً يستخدمه وهو لم يذقه هو شخصياً، لذلك حدث له ما حدث من أذى من جراء عدم احتياطه. «**وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلَاحًا وَغَرَسَ كَرْمًا. وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ**». **(تك ٩: ٢٠-٢١)**، لا لأنه كان سكيراً بل لعدم خبرته في شرب الخمر باعتدال. إنّ شرب الخمر بعيدٌ عن مرحلة **الفردوس** بقدر ما يبتعد **الصوم الشريف** في قِدَمَ زمنه.

ونعلم أيضاً أنّ **موسى** لم يجرؤ على الاقتراب من جبل سيناء و الصعود إليه إلّا بعد **صوم طويل**. لم تكن له الجرأة على الصعود إلى الجبل المدخن، ولا الشجاعة على الدخول في وسط الغمام الذي غطاه **(خر ٢٤: ١٨)** لو لم يتسلّح أوّلاً بالصوم. عن طريق الصوم **تسلّم الوصايا العشر التي دُفعت إليه على لوحين من حجر مكتوبين بإصبع الله** **(خر ٣٤: ٢٨)**، بينما في أسفل الجبل دفعت الشّراهة الشعب إلى عبادة الأوثان، لأنه جلس يأكل ويشرب ثم قاموا كلّهم يلعبون. البقاء على الجبل **أربعين يوماً** وابتهاال **عبد الله المؤمن**، كل ذلك لم يُجدِ نفعاً مقابل يوم واحد من الشُّكر والعريضة. وبعبارة أخرى، إنّ **لَوْحِي الوصايا** التي أتت عن طريق الصوم **مكتوبة بإصبع الله** حطّمهما السكر، لأنّ **النبي موسى** حكم أن الشعب المستسلم للشُّكر لم يكن يستحقّ تسلمّ الوصايا الإلهية **(خر ٣٢: ١٩)**. بالنسبة للشعب الذي عرف **الله الحقيقي والصانع له العجائب**، لحظة واحدة كانت كافية ليعود ويغرق

محبة اللذة. لا شيء يُشتهي ويتمتع به المرء بصورة متواصلة ولا يزدري به في النهاية. كل شيء نادر مستحق التمتع به. هكذا **شاء الخالق** عن طريق التبدل في العيش أن يدم التمتع بما وهبنا من نعم. ألا ترى الشمس مستحبة أكثر بعد انتهاء الليل؟ والاستيقاظ بعد النوم، والصحة بعد المرض، والمائدة أيضًا بعد الصوم، أكان ذلك للأغنياء الذين تفيض عندهم المأكلة أم للفقراء القانعين بالطعام القليل؟

إذهب في مثال ذلك **الغني** لأن التمتع بالمأكلة طيلة حياته سلّمه إلى نار جهنّم (لوقا ١٦). لقد أدرك لا لظلمه بل لأنه كان يعيش في التمتع الدائم. لذلك أخذ يحترق في نار الأتون. والصوم يفيدنا، ليس فقط من أجل الحياة الأبدية، بل يفيد أيضًا، جسديًا بشري. إن الرفاهية الزائدة تجرّ سقطات لاحقة، لأن الجسم يتعب ولا يستطيع أن يحمل ثقل الأغذية الكثيرة. أخطر ألا تزدري اليوم بالماء حتى لا تشتهي فيما بعد على مثال الغني نقطة واحدة منه. لم يسكر أحد من الناس من شرب الماء ولا أصابه صداع بسببه، ولا تعبت رجلاه أو يده منه أيضًا.

إن عُسر الهضم الذي يرافق عادة كثرة الطعام والشراب هو الذي يولد أمراض الجسد الصعبة. وجه الصائم محتشم، لونه لا يحمر بصورة فاقعة، بل يتزين بلون شاحب يعكس عفة صاحبه. عيناه هادئتان وكذلك مشيّه. هو رصين الطلعة لا يستجلب الضحك. أقواله متزنة وقلبه نقي. تذكر القديسين القدماء الذين «طافوا في جُلود غنم وجُلود معزى، مُعْتَازِينَ مَكْرُوبِينَ مُذَلِّينَ» (عب ١١: ٣٧). تمثل بحياتهم إن أردت أن تشترك في نصيبهم.

في العهد الجديد

من الذي أراح لعازر في أحضان إبراهيم (لوقا ١٦)؟ أليس هو الصوم؟ حياة القديس يوحنا السابق كان صومًا مستمرًا. لم يكن له لا سرير ولا مائدة طعام، لا أرض مفلوحة ولا حيوان يعلفه، لا قمح، لا رداء ولا شيء مما تحتاج إليه في الحياة الحاضرة. لذلك لم يوجد فيما بين الناس أعظم من يوحنا المعمدان. وأيضًا الصوم هو الذي رفع بولس الرسول إلى السماء الثالثة (٢ كو ١٢: ٢-٤). يأتي في ذكره على تعداد أحزانه والافتخار بها (كو ٦: ٥ و ١١: ٢٧). وعلى رأس ما أتيت على ذكره حتى الآن يأتي مثال ربنا يسوع المسيح نفسه، الذي عن طريق الصوم، حافظ على الجسد الذي أخذه من أجل خلاصنا. بالصوم ردّ عنه هجمات الشيطان مُعلّمًا إيانا بهذه الطريقة أن نُهيئ أنفسنا وأن ندرّبها من أجل مواجهة التجارب.

لقد أخلّى الرب ذاته وتنازل مُقدمًا هكذا فرصة لقاء مع الشيطان ومحاربتة. فإنه لم يكن بمقدور العدو أن يقترب عن طريق أخرى من السيّد بما أنه إله، لو لم يتنازل إلى مصاف البشر الذي «أخلّى نفسه، آخذًا صورة عبْدٍ، صائرًا في شبه الناس». (في ٢: ٧). وقد تناول طعامًا حتى بعد القيامة لكي يثبت بهذه الطريقة أن جسده القائم له طبيعة مادية.

أما أنت الذي تحشو بطنك بالمأكلة، ألا تلاحظ رخاوتك من جراء ذلك، ألا تتفوّه بكلمة عندما ترى ذهنك يحف بسبب فقدان الأقوال

طبعًا برهنوا على أنهم أسمى من الذهب لأن النار لم تُشوّه مظهرهم، بل حفظتهم بلا عيب. فمن كان يستطيع أن يحتمل مثل هذا اللهب الذي كان يوقد بالنفط والزفت والزرجون حتى ارتفع فوق الأتون تسعًا وأربعين ذراعًا، وانتشر وأحرق الذين صادفهم حول الأتون من الكلدانيين؟ دخل الفتية الثلاثة الحريق بعد أن صاموا قبلًا فاستنشقوا اللهب وكأنه نسيم عليل مُنَدّى. لم تحسّر النار على الاقتراب من شعور رؤوسهم لأنهم كانوا قد تغذوا بالصوم.

أمّا دانيال رجل الرغائب الذي طيلة ثلاثة أسابيع لم يأكل خبزًا ولم يشرب خمّرًا، فقد علّم الأسود أيضًا أن تصوم عندما أُلقي في الحب. وكان جسمه مصنوع من حجر أو من نحاس أو من مادة جامدة أخرى، فلم تقو عليها الأسود بأسنانها. كما أن السقي يجعل الفولاذ أشد وأمتن، هكذا بطريقة مشابهة تقوى جسم دانيال من جراء الصوم. جعله لا يقهر أمام الأسود التي لم تجرؤ أمامه حتى على أن تفتح أفواهها (دا ٦).

فضائل الصوم:

الصوم أخدم أجيج النار، الصوم سدّ أفواه الأسود (عب ١١: ٣٣). الصوم يرفع الصلاة إلى السماء وكأنه يعطيها أجنحة تحوّلها الطيران إلى فوق. الصوم يُعمر البيوت، يُعنى بالصحة كأم. هو مربّب للشباب ومزيّن للمتقدمين في السن. مرافق حسنّ للمسافرين وضمانة لكل من يساكنه. لا يشكّ الرجل بامرأته عندما يراها تصوم، كما لا تغار المرأة من رجلها عندما تراه يصوم بانتظام.

من الذي قضى على ثروته من جراء الصوم...؟ لا ينقص شيء منها عن طريقه. هو يريح الطباخين قليلًا من العمل. تقتصر المائدة على الطعام القليل. لقد أعطي السبت لليهود «لكي يستريح ثورك وجملك، ويتنفس ابن أمك والغريب». (خر ٢٣: ١٢). ليكن الصوم فرصة استراحة سنوية للخدّام من أتعابهم المتواصلة. يستريح الطباخ قليلًا من عمله. يأخذ مدبر الموائد مأذونية. لا يعود يسكب خمّرًا في كأسك، وتتوقف صناعة الحلويات المختلفة، ليستريح بيتك أيضًا من أتعابه المتنوعة، من الدخان، من رائحة الشّي، من كل من يُسرّع هنا وهناك من أجل خدمة البطن، وكأنه السيّد الذي لا يكفيه شيء. كان من عادة جامعي الضرائب أن يريحوا الملتزمين قليلًا في وقت من الأوقات من دفع الضريبة. فليعط بطنك استراحة ما للفم، ويلجأ محبة منا إلى السكينة. هو الذي لا ينفك يطالب بالمأكلة وإن أُعطي اليوم نسي غدًا ما كان قد تناوله البارحة. عندما يمتلئ يتكلم عن فلسفة الإمساك، وعندما يفرغ ينسى ما كان قد علّمه في وقت شبعة.

الصوم لا يعرف ما هو الدّين... ابن الصّوم اليتيم لا تخنقه ديون والده ملتفة حول عنقه كالحيات. ومن جهة ثانية الصوم مناسبة للابتهاج. كما أن العطش يجعل الشرب مستحبًا، كذلك الصوم المسبق يجعل المائدة مستحبة والطعام أشهى، لأنك إن أردت أن تجعل مائدتك لذينة وشهية فاعتمد الصوم الذي يخلق مثل هذا التبدل. أمّا أنت الذي تتسلط عليك شهوة التمتع بالأطعمة، فإنك تفقد بهذه الطريقة ملذاتها، وتقضي على المتعة واللذة من جراء شهوتك وهو

المُخِيبَةُ الخلاصية المغذية إيانا؟ أم تجهل أن من يتخذ حليقًا ينجح في التغلب على العدو؟ هكذا فإن الذي يضيف على جسده شحمًا يقاوم **الرُّوح**. كم أن الذي يجعل للروح حليقًا مساعدًا يسيطر على جسده. ذلك لأن **الرُّوح** مناهض للجسد حتى أنك إن أردت أن تقوّي ذهنك لجأت إلى الصوم من أجل إخضاع جسدك. هذا ما يتفق مع كلام **بولس الرسول** الذي يقول: «إِنْ كَانَ إِنْسَانُنَا الْخَارِجُ يَفْقَى، فَالِدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْمًا فَيَوْمًا.» (٢ كور ٤: ١٦)، أو «لَأَنِّي حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينِئِذٍ أَنَا قَوِيٌّ.» (٢ كور ١٢: ١٠).

وفي العهد القديم:

ألا تزدري بالماكل التي بكثرتها تفسد؟ ألا ترغب في **مائدة الملوك** التي يهيئها الصوم دائمًا في الحياة الحاضرة؟ من الذي، عن طريق كثرة الطعام واستمرار التمتع الجسدي، نال **مرةً موهبةً روحيةً**؟ لقد لجأ **موسى** إلى الصوم **مرة ثانية** من أجل تقبل **الوصايا الثانية** (خر ٣٤: ٢٨). لو لم يصُِّم **أهل نينوى** حتى مع بهائمهم لما نجوا من وعيد الخراب (**يونان** ٣: ٤-١٠). من هم الذين تناثرت أعضاء أجسادهم وعظامهم في الصحراء؟ أليس هؤلاء الذين اشتبهوا أكل اللحم؟ عندما **قنعوا بالقمح والماء الفاضل من الصخرة** انتصروا على المصريين وعبروا البحر إلى اليبس، ولم يكن فيما بينهم ذو علة. لكن ما أن اشتبهوا باللحوم المطبوخة حتى عادوا إلى مصر ولم يروا أرض الميعاد.

ألا تخشى من التشبه بهم؟ ألا ترعبك شهواتك التي ربما تحرمك من **الخيرات السماوية؟ النبي دانيال** لم يكن ليشاهد مثل هذه الرؤى لو لم ينق نفسه مُسبقًا عن طريق الصوم (**دانيال** ٨: ١-٢٠). إن كثرة الطعام تجرّ نوعًا من خيالات تشبه غيومًا سوداء تقطع **استنارات الذهن بالروح القدس**. إن كان **للملائكة** طعام فما هو إلا الخبز كما يقول **النبي داود**: «أَكَلَ الْإِنْسَانُ خُبْزَ الْمَلَائِكَةِ.» (مز ٧٧: ٢٥). لا اللحم، لا الخمر ولا شيء آخر يشتهيه ذوو محبة البطن.

الصوم سلاح أمام جنود الشياطين. «وَأَمَّا هَذَا الْجِنْسُ فَلَا يُخْرِجُ إِلَّا بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ.» (متى ١٧: ٢١). حسناته لا تُعدّ. أما نتيجة الشراهة فهي الهلاك، لأن التمتع بالماكل والشكر وما إليها تجرّ مباشرة كل نوع من أنواع **الخلاعة** التي تليق فقط بالبهائم. فالشكر يوكد في النفس حبّ التمتع باللذات الجسدية والزنى... بينما الصوم، يساعد حتى الزوجين على نوع من الاتزان الجنسي ويحدّ من المبالغة في التمتع الجسدي، مما يساعد كثيرًا على الاستمرار في حياة الصلاة.

فضائله على صعيد أوسع:

لكن حسنات الصوم لا تقتصر على الابتعاد عن الأطعمة الشهية، لأن **الصوم الحقيقي** هو في الابتعاد عن كل شرّ. الحدّ من كل عمل ظالم، الابتعاد عن كل ما يحزن الآخر بل إعانته في كل ما يحتاج إليه (**إشعيا** ٥٨: ٦). لا تصوموا وأنتم في نزاع مع الآخرين. أنت لا تأكل لحمًا بل ترغب في مأكّل لحم أخيك. تمتنع عن شرب الخمر، لكنك لا تقطع لسانك عن التجديف. تنتظر هبوط الليل لكي تفطر بينما تمضي النهار كلّ في المحاكم. الويل للسكاري من غير شرب الخمر. الغضب ما

هو **إلا سُكْرٌ للنفس** لأنه يُخرج الإنسان عن صوابه كما يفعل فيه الخمر. الحزن أيضًا نوع من الشكر لأنه يُظلم الفكر. والخوف أيضًا نوع آخر عندما لا يبرّر مصدره. لذلك يقول **المزمور**: «مِنْ خَوْفِ الْعَدُوِّ أَحْفَظُ حَيَاتِي (نَجْ نَفْسِي).» (مز ٦٣: ٢). وبصورة عامة الأهواء النفسية المختلفة التي تسبب اضطرابًا للذهن يمكن اعتبارها نوعًا من الشكر.

أنظر جيدًا إلى الغاضب كيف يصبح من شدّة غضبه كالسكران، لا يعود يسيطر على نفسه، لا يلاحظ حاله ويتجاهل وجود الآخرين. كما في حرب ليلية يضرب عشوائيًا. يتفوه بكلام غير لائق، يشتم يضرب، يهدد، يحلف، يصرخ وكأنه على وشك الانفجار. تجنّب مثل هذا النوع من الشكر ولا تسكر أيضًا بالخمر. لا تُفَضِّلْ شرب الخمر على الماء، حتى لا يسوقك الشكر نفسه إلى الصوم. لا يمكن للشكر أن يكون مقدمة للصوم **المبارك** كما أن الطمع لا يقود إلى العدالة. كذلك لا تستطيع عن طريق **الخلاعة** أن تصل **إلى العفة** وبصورة عامة عن طريق الرذيلة أن تصل إلى **الفضيلة**. الصوم له مدخل آخر. الشكر يقود إلى **الخلاعة**، أما **القناعة** فهي تقوده إلى الصوم.

كما أن المتباري يتدرب ويتروّض مُسبقًا، كذلك الصائم يجب أن **يتعفف** من قبل. لا تُحْزَنْ خمرًا في معدتك خلال **أيام الفسحة الخمسة** وكأنك تريد أن تعادل أيام الصوم وتضحك على صاحب الوصية. إنّ تعبك سيذهب باطلاً مُجهّدًا جسدك دون أن تعوّض له في أيام الإمساك. تحزن في **جمرة مثقوبة**، يتسرّب منها الخمر ويجري في طريقه، أما **الخطيئة** فتبقى وحدها في مكانها.

العبد يهرب من **سيّد** عندما يضربه. وأنت تنوي البقاء مع الخمر وهو يضربك كل يوم على رأسك؟ إنّ أفضل مقياس لشرب الخمر هو حاجة الجسد. إن تخطيت هذا الحدّ يأتي وجع الرأس، تئاب، وتستنشق رائحة الخمر المخلّل، كل شيء حولك يدور ويضطرب. الشكر يقود إلى النوم الذي يشبه الموت أو الصحو الذي يشبه **الحلم**.

أتعلم يا ترى من هو مزعم أن يأتي وتقبله؟ هو الذي وعدنا بقوله: «إِنْ أَحْبَبْنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلَامِي، وَيُحِبَّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلًا.» (**يوحنا** ١٤: ٢٣). لماذا إذا تسرع عن طريق الشكر وتوصد الباب أمام **الرّبّ**؟ هو يطرد **الروح القدس**. كما أن الدخان يطرد النمل كذلك تحرب **المواهب الروحية** من الشكر.

الخلاصة: الصوم حشمة المدينة، سكينه الأسواق، سلام العائلات وضمانة لموجوداتنا. أتريد أن تعرف إلى وقاره؟ قارن بين الليلة الحاضرة والنهار المقبل، تجد أن المدينة تبدّل وتنقل من السكنية الكلية إلى الضجة والاضطراب.

أرجو أن يتشبه نهار غدّ باليوم الحاضر من حيث السكنية والوقار دون أن يفقد شيئًا من بهجته. عسى أن يعطينا **الرّبّ** الذي **أهلنا** للوصول إلى مثل هذا اليوم ما يهب عادة للمجاهدين الأشداء فإنه بمواظبتنا على **الجهاد والصبر**، سوف يؤهّلنا أن ندرك ذلك الذي يورّع فيه **الأكائيل**، أن نصل ههنا إلى أيام ذكر **آلام الرّبّ وفي الدهر الآتي إلى مجازاتنا حسنًا على أعمالنا حسب حُكم المسيح العادل الذي يليق له المجد إلى الأبد. آمين.**



أحد الأرثوذكسيّة



الأرثوذكسيّة هي الرأي القويم
وتعني العقيدة القويمة
والإيمان القويم وتقليد الكنيسة القويم واللاهوت القويم



شرح أيقونة الرَّبِّ يسوع المسيح الضَّابط الكل

غَنِيَّ عن التعريف أن كلمة "أرثوذكسيّة" هي كلمة يونانية مشتقة من الفعل (ذوكو = أومن) و (أرثوس = حقيقي)، وتشير الى الإيمان والعقيدة والتقليد واللاهوت المستقيم أو الحقيقي وهي ليست بالنسبة الى الكنيسة المسيحية المقدسة الجامعة الرسولية شعاراً لطائفة معينة، يميزها عن بقية الطوائف المسيحية، بل هي طابع الكنيسة الأولى الجامعة التي حافظت على استقامة التعليم الرسولي، واستمرارية الحياة بالروح القدس كونها الكنيسة ذاتها التي أسسها الرب يسوع المسيح على صخرة الإيمان الحق، بابت الله الحي المتجسد والباقي معها الى الأبد، أي هي الكنيسة المسيحية المقدسة الجامعة الرسولية. «وَالصَّخْرَةُ كَانَتْ الْمَسِيحَ». (1 كو 10: 4).

هذه التسمية «الضابط الكل» أي القادر على كل شيء، نجدها في العهد الجديد عشر مرّات.

مرّة في الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس، وتسع مرّات في سفر الرؤيا. «وَأَكُونُ لَكُمْ أَبًا، وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي بَنِينَ وَبَنَاتٍ، يَقُولُ الرَّبُّ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ» (٢ كور ٦: ١٨).

ومن إحدى الآيات في سفر الرؤيا: «أَنَا هُوَ الْأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنَّهَائَةُ، يَقُولُ الرَّبُّ الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ» (رؤ ١: ٨).

أيقونات الرَّبِّ يسوع ووالدته العذراء الطاهرة أكثر من أن تُعدّ.

لدينا اليوم أيقونة الرَّبِّ يسوع «أيقونة الضابط الكل» ونسمع عنها والبعض يعرفونها، لكن كُثُرٌ جدّاً الذين لا يعرفون التمييز بين أيقونة وأخرى...

تعريف الأيقونة:

عنوان هذه الأيقونة «الضابط الكل» كما هو مكتوب أعلاه في اللغة اليونانية بانتوكراتور - παντοκράτωρ

شرح كلمة الضابط الكل:

إنَّها عبارة سلطة وقدرة وجبروت، فيها كل الاعتراف بقوَّته وسلطانه ومُؤمَّه. لا شيء يعصى عليه، وبسماح منه يجري كل شيء، يستطيع التدخل ساعة يشاء حين يرى ذلك مناسباً...

لا أحد أعلى منه وهو يترفع على كرسي المجد المُطلق. ملوكيته أبدية، كانت وكائنة وتكون.

من هنا نجدها مكررة بقوة في سفر الرؤيا، إذ هو سفر الرجاء والانتصار بالرغم من كل الشدائد والصعاب.

كلمة بانتوكراتور παντοκράτωρ يونانية وتتألف من پαντος παντος أي كل جهة (كل مكان)، كل زمان، وذلك بحسب ما تأتي في سياق الجملة المستعملة فيها إذ أن پان παν تعني الكلية entirely-all. نجد هذه الكلمة مثلاً في الرسالة إلى العبرانيين: «تأبوث العهد معشًى من كل جهة. πάντοθεν بالذهب» (عب ٩:٤).

الكلمة الثانية هي كراتور κράτωρ من الفعل كراتيو κρατεω الذي يعني: يملك القدرة والقوة والتحكُّم، يضبط. نجد هذه الكلمة مثلاً في إنجيل لوقا: «صنع قوَّة κράτος بذراعِهِ» (لو ١:٥١).

الرَّب يسوع يجلس على عرشه:

نشاهد الرَّب يسوع المسيح في هذه الأيقونة يترفع على عرشه الأبدي مرفوعاً بالسيرويم والسيرافيم، كما جاء في المزمور: «ركب على كاروب وطار وهف على أجنحة الرياح» (مز ١٠:١٨).

وهذا المشهد يذكّرنا أيضاً في بعض جوانبه بما قاله أشعيا النبي في الرؤيا التي حدثت معه: «رأيت السيّد جالساً على كرسي عالٍ ومرتفع، وأذياه تملأ الهيكل. السيرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة، باثنان يغطي وجهه وباثنان يغطي رجليه وباثنان يطير». (أش ٦:٣-٦).

الإنجيليون الأربعة:

تتوزع في الزوايا الأربع حول الرَّب يسوع المسيح، رموز أربعة، خلف رأس كل منها هالة القداسة، وكل منها يحمل إنجيلاً، إذ هي تشير إلى الإنجيليين الأربعة، ومدون بجانب كل منها اسم الإنجيلي، وهي موزعة كالآتي:

يمين كتف السيّد: ملاك (ملاك-إنسان) يرمز إلى متى الإنجيلي.

يسار كتف السيّد: نسر يرمز إلى يوحنا اللاهوتي الإنجيلي.

يمين قدم السيّد: أسد يرمز إلى مرقس الإنجيلي.

يسار قدم السيّد: ثور يرمز إلى لوقا الإنجيلي.

مصادر هذه الرموز سفران في الكتاب المقدس، الأول: عند حزقيال النبي في الاصحاح الأول، الثاني: في سفر الرؤيا (رؤ ٤:٦-٧)

كذلك طبق القديس إيريناوس أسقف ليون (١١٥-٢٠٢م) هذه الرموز على كل من الإنجيليين الأربعة بحسب خصائص كل إنجيل منهم فقال:

يرمز لمتى الإنجيلي بالإنسان الذي يجتهد في إعلان نسب العذراء مريم التي أخذ منها الرَّب يسوع المسيح جسداً، كما أن يسوع يظهر في إنجيله صديقاً للإنسان المحتاج إلى الخلاص.

يرمز ليوحنا الإنجيلي اللاهوتي بالنسر لأنه خلق في سماء اللاهوت، وكتب عن ألوهية كلمة الله بإسهاب وعمق كبيرين.

يرمز لمرقس الإنجيلي بالأسد لأنه يبدأ إنجيله بصراخ القديس يوحنا المعمدان في وسط برية هذا العالم: «صوت صارخ في البرية: أعدوا طريق الرب، اصنعوا سبيله مستقيمة» (مر ٣:١).

يرمز للوقا الإنجيلي بالعجل، حيث أنه يبدأ إنجيله بذكرى الذي يقدم ذبيحة عن الشعب رمزاً لكهنوت المسيح وفدائه.

الكواكب والنجوم:

نشاهد تحت أقدام المسيح الكرة الأرضية والشمس والقمر والنجوم دلالة على أنه خالق الكون بأسره وضابطه، وهو بدوره يشهد له.

ألا يقول المزمور: «السموات تحدت بمجد الله. والفلك يخبر بعمل يديه. يوم إلى يوم يذيع كلاماً وليل إلى ليل يدي علماً» (مز ١٩:١٠).

الرَّب يبارك:

بيده اليمنى يبارك. هذا الشكل من البركة، أي حركة الأصابع، يرمز إلى الأحرف الأولى والأخيرة لكل من كلمتي يسوع المسيح باليونانية: ICXC

IC من إيسوس Ἰησοῦς و XC من خريستوس Χριστός

قديمًا كان شكل حرف السيغما S هو C

كثيراً ما نشاهد في الكنيسة هذه الأحرف ICXC على ستائر الباب الملوكي، أو على ظهر الفلوتية (القطعة العلوية من ثياب الكاهن) أو على الأواني الكنسية، وهي مكتوبة في القسم العلوي من الصليب، ويتوافق معها في القسم السفلي من الصليب أحرف نيكَا، NIKA التي تعني الانتصار في اليونانية: نيكَا Νικά من الفعل نيكَاو Νικάω إذ الرَّب هو المنتصر على الموت والشیطان أو نيكيتيس Ο νικητής. وقد قال لنا: «ثَقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ» (يو ١٦:٣٣)، إنَّه الفعل نفسه المستعمل في هذه الآية. (نينيكيا - قد غلبت νενίκηκα).

هذه الأحرف نجدها في أعلى الأيقونة، وهي دائماً موجودة بجانب الرَّب يسوع المسيح، تُعرّف عنه وتشير إليه. هذا أمر واجب في كتابة الأيقونات إذ لا أيقونات دون عناوين تشير إلى اسمها واسم الأشخاص الموجودين فيها.

الهالة خلف رأس الرَّب:

نشاهد دائماً في أيقونات الرَّب يسوع المسيح هالة خلف رأسه داخلها صليب وثلاثة أحرف يونانية.

الهالة تشير إلى القداسة...

أما الصليب فيشير إلى أن يسوع قد صُلب.

له نهاية أو بداية.».

إذا جواب **الله لموسى** هو إعلان للبشرية جمعاء «إِنَّهُ الْكَائِنُ»، و«كينونته مستمرة وغير مصنوعة من خالقٍ آخر، فهو كائن بطبيعته الإلهية».

الأحرف اليونانية داخل الهالة خلف الرب يسوع المسيح:

الترجمة اليونانية للكينونة هي تمامًا ما نقرأه داخل الهالة خلف رأس **الرب يسوع المسيح**: «ΘΩΝ». بالمقابل، اسم **يسوع** أو **يشوع** في اللغة العبرية معناه «يهوه يخلص» أي «الكائن من ذاته الذي يخلص»، إذ الحرف «ي» هو تلخيص لـ «يهوه» و«شوع» هو فعل الخلاص.

هذا ما قاله بالتحديد **الملاك ليوسف خطيب مريم** في العهد الجديد: «فَسَتِلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمُهُ يَسُوعَ لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ» (مت ١: ٢١).

يُراد على ذلك ما قاله **الرب عن نفسه**، وكان ذلك عثرة لليهود ولكثيرين: «فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَنَا مِنَ الْبَدْءِ مَا أَكَلْتُكُمْ أَيْضًا بِهِ.» (يو ٨: ٢٥). فلنلاحظ كلمة «البَدْء» - أرخين - ἀρχήν» ويكمل **يسوع** في الإصحاح عينه: «مَتَى رَفَعْتُمْ ابْنَ الْإِنْسَانِ، فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ. (إِيجو إِيْمِي - أنا هو - Εγώ εἰμι)» (يو ٨: ٢٨).

لباس الرب يسوع:

الرداء الخارجي لل**رب يسوع المسيح** أزرق اللون، تنعكس عليه بقع ذهبية، تحته قميص طويل لونه نبيذي، وعلى كتفه اليمنى خطوط من ذهب.

للألوان هنا معنى. يرمز اللون الأزرق عادة إلى الخلق، والنبيذي إلى الألوهة، والذهبي إلى الملوكة والمجد.

لل**رب يسوع** طبيعتان كاملتان إلهية وبشرية، إذ هو **الله** الذي تجسد وأصبح إنسانًا. فاللون النبيذي يشير إلى ألوهيته والأزرق إلى بشريته، والذهبي إلى ملوكيته.

الإنجيل بيد الرب:

الإنجيل مفتوح للجميع لأن الدعوة هي للمسكونة جمعاء.

الكتابة فيه باليونانية وتعني: «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتَّبِعْنِي فَلَا يَمَشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ» (يو ١: ٩).

الكتابة في إطار الأيقونة:

يحيط بالأيقونة هذه آيات من المزمور الثالث والثلاثين كالأتي:

«مَنْ السَّمَاوَاتِ نَظَرَ الرَّبِّ. رَأَى جَمِيعَ بَنِي الْبَشَرِ. مِنْ مَكَانِ سَكْنَاهُ تَطَّلَعَ إِلَى جَمِيعِ سُكَّانِ الْأَرْضِ. الْمُصَوِّرُ قُلُوبَهُمْ جَمِيعًا الْمُنتَبِهَ إِلَى كُلِّ أَعْمَالِهِمْ.» (مزمور ٣٣: ١٣-١٥).

د. جوزيف زيتون

الأحرف الثلاثة هي أحرف يونانية تعني الكائن، وهو التعريف الذي أطلقه **الله** على نفسه عندما ظهر **لموسى النبي** في العليقة: «وَأَمَّا مُوسَى فَكَانَ يَرَعَى غَنَمَ يَثْرُونَ حَمِيهِ كَاهِنٍ مَدْيَانَ، فَسَاقَ الْغَنَمَ إِلَى وَرَاءِ الْبَرِّيَّةِ وَجَاءَ إِلَى جَبَلِ اللَّهِ حُورِيبَ. وَظَهَرَ لَهُ مَلَأُكَ الرَّبِّ بِلَهِيْبٍ نَارٍ مِنْ وَسْطِ عُليْقَةٍ. فَنَظَرَ وَإِذَا الْعُليْقَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ، وَالْعُليْقَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ. فَقَالَ مُوسَى: «أَمِيلُ الْآنَ لِأَنْظُرَ هَذَا الْمَنْظَرَ الْعَظِيمَ. لِمَاذَا لَا تَحْتَرِقُ الْعُليْقَةُ؟» فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَالَ لِيَنْظُرَ، نَادَاهُ اللَّهُ مِنْ وَسْطِ الْعُليْقَةِ وَقَالَ: «مُوسَى، مُوسَى!». فَقَالَ: «هَأَنْذَا». فَقَالَ: «لَا تَقْرَبْ إِلَى هَهُنَا. اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لِأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَقِفْتَ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ». ثُمَّ قَالَ: «أَنَا إِلَهُ أَبِيكَ، إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ». فَعَطَى مُوسَى وَجْهَهُ لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللَّهِ.» (خر ٣: ٦-١). لهذه الحادثة أهمية كبيرة من الناحية العقائدية، فهي تروي محادثة تكشف لنا أمرين أساسيين:

١ - الله هو المتكلم مع النبي موسى

٢ - اسم الله ومعناه الحقيقي والفعلي

صحيح أن النص بدأ هكذا: «وَظَهَرَ لَهُ مَلَأُكَ الرَّبِّ»، إلا أنه يعود ويوضح بشكل قاطع فيقول: «فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَالَ لِيَنْظُرَ، نَادَاهُ اللَّهُ مِنْ وَسْطِ الْعُليْقَةِ... فَعَطَى مُوسَى وَجْهَهُ لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللَّهِ.»

هذا أمرٌ شائع في بعض النصوص الكتابية في العهد القديم، والمقصود هنا عبارة «ملاك الرب» **الله نفسه**. هذا من عادة **الله**، فهو يقوم دائماً بالخطوة الأولى ويعلن عن ذاته ويدعو الناس بأسمائهم. وقد قصد **الله** في هذه المحادثة أن يؤكد **لموسى النبي** أنه **إله شخصي**: «إله أبيك وإله آبائكم وإله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب...».

فهو **الآب السماوي** الذي لا ينسى أبنائه ولا يتخلى عن وعده الخلاصي الذي بدأه مع **حواء**، عندما قال لها إن من نسلها سيأتي من يسحق رأس الشيطان (تك ٣: ١٥)، وأكملة مع **البطارقة الثلاثة إبراهيم وإسحق ويعقوب**، ومع **كل الأنبياء** من بعدهم ليتحقق أخيراً في العهد الجديد، فرى **متى الإنجيلي** يعلن تحقيق نبوءة **أشعيا النبي** عندما تكلم **الملاك مع يوسف خطيب مريم**: «وَهَذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ: «هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَيَدْعَوْنَ اسْمَهُ عَمَّاثُوثِيل» (الَّذِي تَفْسِيرُهُ: أَلَّهُ مَعَنَا)». بالنسبة **لموسى**، لم يكن هذا الأمر كافياً، بل كان يطلب اسماً حقيقياً على غرار سائر الآلهة الأخرى، فهناك الآلهة بعل ومردوك وآلهة عديدة ومختلفة. فكيف له أن يقول لشعبه إن من ظهر له وكلّمه هو **إله آبائهم**؟ وليس له اسم واضح ودقيق ومحدد؟! عندئذٍ أجابه **الله** عن اسمه، فاستعمل فعل الكينونة ليصف نفسه «أهيه الذي أهيه **ΘΩΝ**» **Εγώ εἰμι**» و«أهيه **ΘΩΝ**» أي «أنا أكون الذي أكون» و«الكائن»: **يهوه**.

وهذه الصيغة هي صيغة مستمرة - الماضي والحاضر والمستقبل - بمعنى «الذي كان فيه الحياة والذي فيه الحياة دائماً»، كما أن له صفة **المُفْعَل** أي «الذي يُعطي الحياة» «إِنَّهُ هُوَ، كَانَ وَكَائِنٌ وَيَكُونُ، لَيْسَ

الفصل العاشر - تنمة

أما الممثلون والمسؤولون عن الأديار العشرين «المقدسة والمغبوطة» الذين يُقيمون في كارييس، فقد ذُكروا هم أيضاً في رسالة التعريف عنه: «... إنه معروف بكتاباتهِ اللاهوتية الكثيرة والمتنوعة، وخصوصاً باندفاعه الحارّ والخالص لتنشئة المؤمنين وهو يعمل في هذا الحقل منذ سنواتٍ كثيرة دون توقّف. ولهذا فقد أوكل إليه الرؤساء الإكليريكيون في اليونان إدارة إحدى أفضل مدارس الكهنة عندنا. وبما أنّ قداسته يزور أرضاً المقدسة للمرة الأولى، فإننا نرجوكم بحرارة أن تستقبلوه بالاحترام والتقدير اللذين يليقان بدرجة وبالمسؤوليات العالية التي يضطلع بها، وأن تفعلوا كلّ ما هو مُستطاع لتحقيق جميع رغباته. وفي الوقت نفسه، فإننا نلفت نظركم إلى رسالة قداسة البطريرك المسكوني التي يسمح له فيها بالطبع بتأدية جميع الخدم المقدسة. واقبلوا ممّا...».



كان **نكتاريوس** بالنسبة إليهم مجرد زائر رسمي آخر، وكاتب لاهوتي رفيع المقام في الكنيسة. لذلك كان يجب أن تُفتح أمامه جميع الأبواب، وأن يُعرض عليه الجميع خدماتهم كباراً وصغاراً، وأن يكونوا لطفاء معه. وكانوا مُعتادين على استقبال الأساقفة، ويعرفون جيداً كيف يتصرفون معهم: إذ يَرْتَدُّونُ مُظَاهِر التقوى ويحيطونهم برعايتهم، ويخدمونهم، ويبلّثون جميع طلباتهم الشخصية ورغباتهم.

لكن فوجئوا جداً بوصول كاهن متواضع، خافض العينين، بسيط اللباس، ومن دون شارات كهنوتية. نال الوجه، يتكلّم ببطاء وبصوتٍ مرتجف أحياناً، ولكنه خفيض ومنفعل.

لقد زار **دير فاتوبيدي**، ثم تنقّل بين أديار متعدّدة ووصل مع صديقه والدليل إلى **دير اللافرا الكبير**. فوصلوا من الشرق على ظهر دابة، ومروا أمام **دير كاراكالوس** في آخر شبه الجزيرة. وزاروا **أجياسما النبع العجايب** المتدفّق من الصخرة الكبيرة التي ضربها القديس **أثناسيوس الأثوسي** بعصاه، بحسب إرشادات الكلية القداسة. ومازال **الصليب** الذي ظهر بعد المعجزة محفوراً في الصخرة، وبالإمكان رؤيته من خلال الماء المقدّس.



وفي هذه الجبال الوعرة **شبه جزيرة آثوس**، كلّ حفرة ووادٍ مخبأً للشياطين، كما تؤكّده الأسطورة القديمة. والويل للناسك الذي لا يتمكّن من السيطرة عليها بفضل **الصليب** الذي يحمله في قلبه وفي يديه. فالصّراع رهيب ودون رحمة. وقد يضعف الناسك في أية لحظة ويسقط بين يدي العدو، ويفقد كلّ ما ربحه بالدم والدموع والمشقات التي لا توصف!

وعندما حلَّ **صيف ١٨٩٨**، وفي نهاية السنة الدراسية، وصل **مدير مدرسة ريزاريو الجليل** إلى **كارييس (عاصمة جبل آثوس)** برفقة صديقين له، راهبين من **جزيرة خيوس**. وكان قد قام بالمساعي اللازمة وحصل على إذن **البطريرك المسكوني قسطنطين الخامس**. وقد نزل الثلاثة في ساحة **بروتاتو** الفسيحة المحاطة بالفنادق والمخازن. فاستقبلهم أربعة رؤساء أديار يحمل كلّ منهم أحد الأختام الأربعة، وبعض قدامى مجلس رؤساء الأديار.

لن نتابع بالتفصيل تنقّلات **نكتاريوس** خلال إقامته التي استمرت زهاء **ثلاثة أشهر**: فقد مضت ليالٍ كاملة يعمل بالمكتبات. كما زار الأديار، ومارس الكثير من الأسفار والجهادات القاسية التي سُمح له باتباعها...

ومع ذلك فما أن عُرِفَ بمجهوده وبالتوصيات الصادرة عن **البطريرك** وعن اتحاد الأديار المقدّس، حتّى بدأت مختلف الشائعات تنتشر حوله في أوساط الرهبان والأجراء العاملين في الأديار وبعض الزوّار. وقد رأى فيه البعض صورة عظيمة عن الكنيسة، بينما اعتبره البعض الآخر أسقفًا ساقطاً، كسولاً، لا سلطة له، ولا يعيش إلّا بفضل تسامح **جمع أثينا المقدّس**. وكان بعض المُخادعين والمراوغين الذين يتسترون وراء مظاهر الورع، يعيدون إلى الأذهان اتهامات **بطريركية الإسكندرية** ويؤكدونها. ويقولون عن **نكتاريوس** انه يشبه الجرح الخفي، واللباس المبقّع من الداخل.

وفيما يلي بعض ما كتبه **البطريرك قسطنطين الخامس** عنه:

«يسرنا أن نوصي لقداستكم بقداسة هذا الصديق، ولا يساورنا الشك في أنّ الجماعة المقدّسة وجميع رؤساء الأديار القديسين، الذين يرأسون أبويّاً الأديار المغبوطة، سوف يستقبلون قداسته بالاحترام والتقدير اللذين يليقان بدرجة وبالمسؤوليات العالية التي يضطلع بها، وفي أنّهم سوف يُبادرون جاهدين إلى تحقيق جميع رغباته.»



بعينه، مَنْ يدأب على **سباق الفضيلة**، ومن يصبو إلى الارتقاء من الأرض إلى العُلَى، يعزف هنا في هذي الحياة عن الأمور المُرِيَّة قاطبةً، ويتهافت كلَّ التهافت على السباق، غيرَ منخدرٍ بأيِّ من الأشياء المنظورة قبل أن يصل فيبلغ المنتهى». (حول سفر التكوين، العظة ٢٨:٦).

- « في وسط المدن، حيثُ كان **بولس** يُقيم، لبثَ بعيدًا عن شؤون الدنيا، مثلما نبتعد نحنُ عن جثث الرَّاقيدين. وحينَ قال: «**العالم مصلوب عندي**»، كان يتحدث عن فقدان الشعور هذا، وأردف قائلاً: «**وأنا مصلوب عند العالم**».

هكذا ينبغي علينا أن نُحبَّ **المسيح**. هكذا ينبغي أن نتجرّد من أمور هذه الدنيا. وحيثُ أنّ نفوس **الأنبياء القديسين** كانت مُشَبَّعة باستعدادات من هذا القبيل، فقد نالوا عيونًا جديدة. فراحوا يتجرّدون من الأشياء الرّاهنة. وهنا تبدّى أثر غيرتهم. بيدَ أنّ عيونهم طفقت، فيما بعد، تنفتح على نورٍ جديد، فتتأَمَّل المُقبل من الزمان. وههنا تبدّى أيضًا أثر **النعمة الإلهية**. وأيُّ كان من البشر يُليّ إعجابه لأمر هذه الدنيا، لا يستطيع أن يستحقَّ قبوله في تأمّل شؤون المستقبل. وأيُّ منّا يزدري الأمور الرّاهنة ولا يُبصر فيها سوى ظلٍّ وحُلُمٍ، سرعانَ ما يوضع في حيازة هذه الكنوز الروحية التي تعصى على كلّ تَمَيُّنٍ وتقدير. لا نكشفُ لأولادنا عن الثروات التي تُلائم حقًا الرجال، إلّا حين بلوغهم سنّ الرجولة، وحين يزدرون جميع ثُرّهات الطفولة، وطالما يلبثون مُعجبين بهاتيك الثُرّهات، نحسبهم قاصرين عن حيازة الخيرات الجسدية. وكذلك، فإنَّ نفسًا لم تتعلَّم مُطلقًا ازدرأ أمور هذه الدنيا التّعسة، فلا يسعها أن تُعجب **بالأمور السماوية**، فالإنسان الغرائزي لا يُدرك الأمور الواردة من الله.

هيا بنا نَسعى إذن إلى العزلة، لا أعني عزلة الأماكن وحسب، بل عزلة القلب على الخصوص. ولنحرص أولًا على أن نَهتدي ونقود نفوسنا إلى داخل مناطق تلبث مُقْفِرَةٌ بتمامها» (خطاب في تأنيب الضمير وفي الندم).

- « هَلَا نُحِبُّ اللهَ بَوَجدٍ حقيقيٍّ، لا خوفًا من الجحيم، بل تَوَقُّا إلى الملكوت. وهل ثَمّة بالحقيقة، ما يمكن مقارنته بمُشاهدتنا **المسيح**؟ لا شيء! وهل ثَمّة ما بوسعنا تشبيهه بِنعم التمتع بخيرات **المسيح**؟ لا شيء! وهذا حقٌّ «فَلَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أُذُنَ سَمِعَتْ» ما يَذخره الله لمن يُحِبُّهم» (حول رسالة تيموثاوس الأولى، العظة ١٥:٤).

- « ما أن ثَلِمَ بنا لَذعة الحبِّ لله حتى نَمْتَنِعَ عن النَّظَر من بُعد إلى كلّ ما يُدهش عيني الجسد. فَمَنْ يُحِبُّ اللهَ له عينان غير عَيْنَيْهِ، وهما عينا الإيمان، ومن ثمَّ يتأَمَّل ولا يَنِي الأمور العليا، ويركّز عليها أفكاره كافة. وحينَ يسير على الأرض، يتصرّف في جميع الأمور وكأنَّ السماء قد غَدَت وطنه. ولا يوقِف من يُحِبُّ اللهَ انتباهه على أُمّة الحياة الرّاهنة وروعيتها، ولا على نَكسائِها، بل يتخطّى كلّ هذه الشؤون، ذاهبًا بسرعة يَمُحَى وطنه... وحينَ ينزع هذا المُحبِّ مثل هذه النزعة يزدري كلّ حادثة تبدو الأشدَّ هولًا في الحياة: فلا يعتريه الفزع من السيف ولا السباط، ولا من الجلادين، وكأنَّ نفسه منخطفة بِتَوَقُّعها إلى الخيرات الأزلية. فيبدو وكأنّه لم يعد يتقمّص جسدًا بشريًا.

أتوسّل إليكم إذن لِتُحِبُّوا اللهَ حُبًّا مُتَقَدِّدًا بالعشق! هيا بنا نُعْرِق فيه مفاهيمنا وقلوبنا!». (العظة حول سفر التكوين).

- « مَنْ نَشَبَتْ فِيهِ حُرقة حبِّ الله، ليس بِمُكِنِّهِ من بعد احتمال ما تقع عليه نظرات عيني جسده. وإذ يتزوّد بعينين غيرهما، أي بعيني الإيمان، يشرع يتأَمَّلهما دون هوادة، ويَشُدُّ روحه إليهما. فيسير على الأرض كمثلٍ مَنْ انتقلت أعماله إلى السماء. وفي سعيه الحثيث إلى الفضيلة، ما من شيء بشري يتمكّن من أن يوقفه.

لأنَّ نفسًا كهذه، لا تُبصر من بعد الجوانب البَرّاقة من الحياة، ولا الصعوبات ولا العراقيل، بل تخفُّ مُسرعةً وتتخطّى كلّ هذه الأمور، فتَهْرع ماضيةً إلى بلوغ «وطنها». وعلى غرار عداءٍ يعدو بطاقته المثلى، لا يعير بعد انتباهه إلى العقبات، ولئن ارتطم بها مرّاتٍ عديدة جمّة، بل يسترسل بتمام ذهنه إلى السباق الذي ينهضُ به، ويجتاز كلّ ما يعترضه اجتيازًا سهلاً، فيُسرع نحو الهدف الذي حُدّد له. فعلى هذا المنوال

- « **لَكَ إِلَهٌ يُحِبُّكَ** بِحَنَانٍ يَفُوقُ حَنَانَ أَبِي. وبعنايةٍ أوفرٍ عَطْفًا من حَنَوِ الأمّهات. **لَكَ إِلَهٌ يُعِزُّكَ** بِجَرَارَةٍ أَشَدَّ اتِّقَادًا مِمَّا هِيَ حَرَارَةُ الأزواجِ الشَّابة. **لَكَ إِلَهٌ** يَصْنَعُ سَعَادَتَهُ بِخَلَاصِكَ أَكْثَرَ مِمَّا تَفْعَلُ أَنْتَ بِنَجَاتِكَ مِنَ الْخَطَرِ وَالْمَوْتِ. **لَكَ إِلَهٌ** يُعْرِبُ لَكَ عَنْ كَافَّةِ أَشْكَالِ الْوُدِّ وَضُرُوبِ الْحَنَانِ فَهُوَ حَنَانُ أَبِي عَلَى بَنِيهِ، حَنَانٌ أُمٌّ عَلَى أَطْفَالِهَا، وَكَرَامٌ عَلَى غِرَاسِ كَرَمَتِهِ، وَمُعْمَارِيٌّ عَلَى عَمَلِ بَنَائِهِ، وَزَوْجٌ عَلَى زَوْجَتِهِ، وَفَتَى شَابٌّ عَلَى خَطِيبَتِهِ، **لَكَ إِلَهٌ** يَبْغِي أَنْ يُقْصِي عَنْكَ الشُّرُورَ، كَمَا الشَّرْقُ عَنْ الْعَرَبِ قَصِيٍّ، كَمَا السَّمَاءُ فَوْقَ الْيَابِسَةِ تَرْتَفِي،

أَوْ بِالْأَحْرَى، لَا كَمَثَلِ هَذَا وَحَسْبُ، بَلْ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا بِالْجَمِّ الْكَثِيرِ، لِأَنَّ **عِنَايَةَ اللَّهِ** عَلَى كُلِّ إِدْرَاكِ عَصِيَّةٍ، وَحُنُوَّهُ يَمْتَنِعُ عَلَى كُلِّ صِغَةٍ وَتَعْبِيرٍ، وَلَا يَرْقَى أَيُّ إِعْرَابٍ إِلَى جُودَتِهِ وَصَلَاحِهِ، وَعَصِيَّتِي حُبُّهُ عَلَى كُلِّ إِدْرَاكِ وَتَقْدِيرٍ. (العظة لهؤلاء الذين يتشكَّكون).

- «أجل، **فَالصَّليبُ** هُوَ الَّذِي أزالَ غَضَبَ اللَّهِ وَبَدَّه عَنْ بَنِي الْإِنْسَانِ، وَهُوَ الَّذِي صَالَحَهُمْ مَعَ اللَّهِ، وَالَّذِي صَيَّرَ الْأَرْضَ سَمَاءً، وَجَمَعَ الْفَانِينَ بِالْمَلَأَكَةِ، وَأَطَاعَ قَلْعَةَ الْمَوْتِ، وَحَطَّمَ شَوْكَةَ الشَّيْطَانِ، وَلَا شَيْءَ أَثَرَ الْخَطِيئَةِ، وَأَنْقَذَ الْمَسْكُونَةَ مِنَ الضَّلَالِ، وَأَعَادَ الْحَقَّ إِلَى نِصَابِهِ، وَطَرَدَ الْأَبَالِسَةَ، وَقَلَبَ هَيْكَلَهُمْ رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ، وَنَسَفَ مَذَابِحَهُمْ، وَأَوْقَفَ ذُبَانَهُمْ، وَرَسَّخَ الْفَضِيلَةَ، وَشَيَّدَ أَسَسَ الْكَنِيسَةِ.

وَالصَّليبُ، إِنَّمَا هُوَ مَشْيَعَةُ الْآبِ، وَجَدَّ الْإِبْنِ وَاجْتِلَاجَ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ (اجْتِلَاجَ الشَّيْءِ: خَلَجَهُ، جَذَبَهُ وَانْتَزَعَهُ). وَإِنَّ الصَّليبَ اعْتِزَّازَ بُولَسَ وَفَخَارَهُ: «فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَحِرَ إِلَّا بِصَّليبِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (غلاطية ٦: ١٤). **فَالصَّليبُ** يَفُوقُ الشَّمْسَ بِأَشْعَتِهِ وَتَأَلَّقَهُ وَرُوعَتِهِ. وَحِينَمَا تُظْلِمُ الشَّمْسُ يَلْتَمِعُ الصَّليبُ، فَالشَّمْسُ لَا تُظْلِمُ لِأَنَّهَا أَوْفَتْ عَلَى سَاعَتِهَا الْأَخِيرَةِ، بَلْ لِأَنَّ رُوعَةَ الصَّليبِ تَكْسِفُهَا. فَقَدْ قَامَ الصَّليبُ بِتَمْزِيْقِ صَلِّ الْحُكْمِ عَلَيْنَا، فَكَسَرَ قِيُودَ الْمَوْتِ. وَغُصَّارَةُ الْقَوْلِ: **الصَّليبُ صَرَّحَ حُبِّ اللَّهِ**. «لَأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ». (يو ٣: ١٦). (العظة حول آلام المسيح).

- «حَيْثُ يَكُونُ الْمَسِيحُ فَهَنَّاكَ السَّمَاءُ» (العظة حول المدافن والصليب).



إِنَّ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ نَحْوَ طَلَبِ الْإِسْتِشَارَةِ مِنَ الْعَرَّافِينَ، أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَادَاتِ الْوَثْنِيِّينَ وَيُدْخِلُونَ أَنَاثًا مُخْتَصِمِينَ بِالْعَرَافَةِ إِلَى بِيُوتِهِمْ لِّلْبَحْثِ عَنْ أَعْمَالِ السَّحَرِ، يَنْبَغِي أَنْ يَخْضَعُوا لِلْقَانُونِ الْكَنِسِيِّ وَيُحْرَمُوا لِمَدَّةِ **سِتِّ سَنَوَاتٍ**. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَصِيرُوا مَقْبُولِينَ فِي الشَّرَكَةِ. أَكْتُبُ لَهُمْ هَذَا لِكَيْ **يَتَذَوَّقُوا ثَمَارَ التَّوْبَةِ**. وَعَلَى كُلِّ حَالٍ أَنَا لَا أَحْكُمُ عَلَى هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ بِالنَّظَرِ إِلَى الْمَدَّةِ الزَّمَنِيَّةِ، لَكِنِّي أَهْتَمُّ فَقَطْ بِمَوْضُوعِ **التَّوْبَةِ**. فَلَوْ كَانَ مِنَ الصَّعْبِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَمْتَنِعُوا عَنْ عَادَاتِ هَؤُلَاءِ الْوَثْنِيِّينَ، وَرَبَّمَا تَكُونُ لَدِيهِمْ رَغْبَةٌ فِي أَنْ يُسْتَعْبَدُوا لَشَهَوَاتِ الْجَسَدِ بَدَلًا مِنْ **الْخُضُوعِ لِلرَّبِّ**، وَاتَّبَاعِ طَرِيقَةِ حَيَاةٍ تَتَّفِقُ مَعَ **الْإِنْجِيلِ**، فَإِنَّهُ لَنْ تَكُونَ هُنَاكَ أَيُّ رُؤْيَا مُشْتَرَكَةٍ يُمْكِنُ أَنْ تَجْمَعَ بَيْنَنَا «بَسَطْتُ يَدَيَّ طُولَ النَّهَارِ إِلَى شَعْبٍ مُتَمَرِّدٍ سَائِرٍ فِي طَرِيقِ غَيْرِ صَالِحٍ وَزَاءٍ أَفْكَارِهِ». (أشعياء ٦٥: ٢).

نَتَجَنَّبُ الْوُقُوعَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْخَطَايَا الثَّقِيلَةِ، وَنَسَلِّطُ أَعْيُنَنَا لِيَوْمِ الْمَجَازَاةِ الْمَخُوفِ، وَأَنْ نَرْفُضَ مِشَارَكَتَهُمْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ الشَّرِيرَةِ حَتَّى لَا نَهْلِكَ مَعَهُمْ بِسَبَبِ اقْتِرَافِنَا نَفْسَ الْخَطَايَا. وَلِلْأَسَفِ هَذِهِ الْأَعْمَالُ يَتَجَرَّأُ عَلَى فَعْلِهَا مَنْ يَحْمِلُونَ اسْمَ الْمَسِيحِ. إِذَا لَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَدْرِكُوا وَلَمْ يَعْرِفُوا بَعْدَ أَنَّهُ بِسَبَبِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ يَأْتِي عَلَيْنَا **غَضَبُ اللَّهِ**، فَأَيُّ شَرَكَةٍ يُمْكِنُ أَنْ تَصِيرَ بَيْنَنَا؟ وَمَعَ هَذَا فَأَنَا مُسْتَعِدٌّ لِيَلَّا وَنَهَارًا بِأَنْ أَنْصَحَهُمْ لَيْسَ فَقَطْ بِطَرِيقَةٍ عَلَنِيَّةٍ، لَكِنْ أَيْضًا بِشَكْلِ خَاصٍّ، حَتَّى لَا يَنْخَدِعُوا بِخَيْثِ هَؤُلَاءِ الْعَرَّافِينَ مُصَلِّيًا مِنْ أَجْلِهِمْ عَلَى الدَّوَامِ، لِكَيْ نَرْجِعَهُمْ وَأَنْ نَنْقُذَهُمْ مِنْ فِتَاخِ الشَّيْطَانِ. فَإِنْ لَمْ نَتِمَكَّنْ مِنْ هَذَا فَلْنَحَاوِلْ عَلَى الْأَقْلَى أَنْ نَنْقُذَ أَنْفُسَنَا مِنَ الدَّيْنُونَةِ الْأَبَدِيَّةِ.

(من رسالة القديس باسيليوس الكبير إلى أمفيلوخوس عن قوانين الكنيسة، (ΕΠΕ) مجلد ١، ص ٢٣٩-٢٤١)

إِذَا يَنْبَغِي أَلَّا نَعْرِضَ أَنْفُسَنَا لِلْفَنَاءِ مَعَ هَؤُلَاءِ، لَكِنْ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ



والنوم على الحضيض، والفقر، وعدم الاقتناء، واليأس، وانتفاء كلّ تجميل وكلّ حُبٍّ للذات، والتَّوَحُّد، والهدوء، وعدم الخروج البتّة، والفاقة، والاكتفاء، والصمت، ومزاولة العمل اليدوي الخاص، وكلّ ألم ونسكٍ في الجسد، وجميع تلك الفضائل الأخرى الأكثر ضرورةً والأكثر منفعةً للجسد الشديد البأس والمضطرب بالأهواء الجسدية. وأمّا حين يكون الجسد عليلًا، وحين يتجاوز هذه الفضائل **بمعونة الله**، فلا تعود ضروريّةً إلى هذا الحدّ، لأنّ التواضع المقدّس والصلاة يتمّمانها كلّها.

هذا وعلينا أن نتحدّث أيضًا عن رذائل النفس والجسد كما أشرنا، أعني بها **الأهواء**. أمّا **أهواء النفس** فهي: النسيان والكسل والجهل، هذه الرذائل الثلاث التي إذ تعمى بها عين النفس - **أي الذهن** - تخضع من ثمّ لكافة الأهواء الأخرى، ألا وهي الجحود، وسوء الرأي - أعني كلّ هرطقة - والتجديف، والحنق، والغضب، والمرارة، والاحتداد، وبغض البشر، والضعينة، والافتراء، والإدانة، والكآبة الخرقاء، والخوف، والتخاذل، والشجار، والخصومة، والحسد، والمجد الباطل، والكبرياء، والمراءاة، والكذب، والغدر، والجشع، وحُبّ المادّة، والتعلّق، واقتناء الأرضيات، والتهاون، وصغر النفس، والكفر بالنعمة، والتدمر، والعجرفة، والعُجب، والغطرسة، والتبجّع، وحُبّ الرئاسة، والمجاملة، والمكْر، والوقاحة، وعدم الإحساس، والتملّق، والنفاق، والتّهكّم، والازدواجيّة، والمواقفات على الخطايا، وضلال الأفكار، وحُبّ الذات أم الرذائل، **وحب المال أصل كلّ الشرور (١ تيموثاوس ٦: ١٠)**، واللؤم، والحُبث.

وأمّا **أهواء الجسد** فهي الشراهة، والنهم، واللذّة، والسكر، والأكل

على الإنسان أن يَعْلَمَ بأنّه كائنٌ مزدوج، وأنّه مُكوّنٌ من نفسٍ وجسد، وأنّ حواسّه وفضائلها مزدوجة هي أيضًا. فثمة خمس حواس للنفس وخمس حواس للجسد. أمّا حواسّ النفس، والتي يدعوها الحكماء أيضًا قوَى أو ملكات، فهي **الذهن والتفكير والحكم والمخيّلة والإدراك**؛ وأمّا حواسّ الجسد فهي **البصر والشمّ والسمع والذوق واللمس**. ولكن إذا ما كانت فضائل الحواس مزدوجة فمن المؤكّد بالتالي أنّ رذائلها مزدوجة أيضًا، ويلزم كلّ إنسانٍ من ثمّ أن يعلم بوضوح ما هي **فضائل النفس وفضائل الجسد**، وأيضًا ما هي **أهواء النفس وأهواء الجسد**.

نقول إنّ **فضائل النفس** هي أساسًا هذه الفضائل العامّة الأربع: الشجاعة والفطنة والعفة والعدل. ومنها تولد فضائل النفس الأخرى: الإيمان والرّجاء والمحبة (١ كورنثوس ١٣: ١٣)، والصلاة، والتواضع، والوداعة، وطول الأناة، والحِلْم، والصّلاح، وعدم الغضب، والمعرفة الإلهيّة، والحميّة، والبساطة، والسّكينة، والصّدق، وانعدام العجب والكبرياء والحسد والحُبث وحُبّ المال، والحنوّ، والرحمة، والجود، وانعدام الخوف، والحزن، والندم، والحشمة، والتقوى، والسعي إلى الخيرات الآتية، والنزوع إلى **ملكوت الله**، واشتهاء التبيّن.

أمّا **فضائل الجسد** فهي أدوات الفضائل بخاصّة، وهي تُمارَسُ عن معرفةٍ وبحسب **الله**، بعيدًا عن أيّ رياءٍ وأيّ رغبةٍ في إرضاء البشر، إذ إنّها تحمل الإنسان على النموّ في التواضع واللاهوى. إنّها الاعتدال، والصوم، والجوع، والعطش، والسّهَر، والوقوف طوال الليل، والمواظبة على الركوع، وعدم الاغتسال، والاكْتِسَاء بلباسٍ واحد، والاعتدائ بما ييسّر من الأطعمة، والتأخّر في تناول الطعام، والاكتفاء بالماء شربًا،

الرّئي وفي سائر التلذّذات الجسدّيّة الأخرى وحسب، بل وفي الأهواء الباقية أيضًا. فالعقّة ليست في الامتناع عن الرّئي وعن ملذّات أسفل البطن فقط، بل أن يكون المرء بمأمن من الملذّات الباقية أيضًا. وعليه، فمن تملكه حبّ المقتنى وحبّ المال والجشع إنّما يكون من ثمّ فاسقًا بحبه. فكما أنّ ذاك يُشغف بالأجساد، كذلك يُشغف هذا بالمقتنيات، بل هو أكثر فسقًا من ذاك، طالما أنّ الطبيعة لا تسوقه بقوة ماثلة. فالحيّال الجاهل - كما يُقال بحق - ليس ذاك الذي لا يُسيطر على الجواد الجموح العسر الكبح، بل هو بخاصّة ذاك الذي لا يستطيع أن يُخضع جوادًا مُروّضًا طيِّعًا. وإنّهُ لمن البديهيّ من كلّ جهة أن شهوة المقتنيات غير مُجدّيّة وأنّها لا تُوافق الطبيعة، لا سيّما وأنّها لا تستمدّ قوّتها من الطبيعة، بل من الإرادة المنحرفة، حتّى أنّ من انهمز لهذا الهوى يخطأ طوعًا ما لا يُغتفر من الخطايا. إذًا، علينا، أن نعرف بوضوح أنّ حبّ اللذّة لا يُحدّد في الملذّة وفي متعة الأجساد وحسب، بل وفي كلّ ما يُحبّ عن إرادة وهوى في النفس أيّا كانت الطريقة وأيّاً كان الموضوع؛ وذلك بُغية أن نعرف بأشدّ وضوح أيضًا ماهيّة الأهواء في أقسام النفس الثلاثة، وأنّ نتمكّن بالتالي من استعراضها بإيجاز.

تُقسّم النفس إلى ثلاثة أقسام هي: العقلي والغصبيّ والشهواني. أمّا خطايا القسم العقليّ فهي الجحود، والهرطقة، والعته، والتجديف، ونكران الجميل، والموافقات على الخطايا الجسدّيّة التي تنجم عن القسم الأهوائي؛ في حين أنّ شفاء هذه الرذائل وعلاجها إنّما يكونان في الإيمان الوطيد بالله، وفي عقائد النّقى الحقيقيّة الأكيدة المستقيمة الرأى (الأرثوذكسيّة)، وفي الانشغال الدؤوب بأحكام الرّوح القدس، وفي الصلاة النّقيّة المتواصلة وفي الشّكر المؤدّي لله.

وأما خطايا القسم الغصبيّ فهي عدم الشفقة، والكرهيّة وعدم الإحساس، والحقّد، والحسد، والقتل، والانشغال الدؤوب بمثل هذه الرذائل؛ في حين أن شفاءها وعلاجها يكونان في حبّ البشر، والحبّة، والوداعة، والإحسان الأخويّ، والرّافة، والتنازل، والصّلاح.

وأما خطايا القسم الشهوانيّ فهي الشرّاهة، والنهم، وإدمان الخمر، والعهر، والرّئي، والنجاسة، والفجور، وحبّ القنية، واشتقاء المجد الباطل والدّهّب والثروة والملذّات الجسدّيّة؛ في حين أن شفاءها وعلاجها يكونان في الصوم، والعقّة، والألم، والعزّ، وتبديد المقتنيات على الفقراء، والسعي إلى تلك الخيرات الآتية التي لا تَفنى، والنزوع إلى ملكوت الله واشتقاء التّبيّ.

خفيّة، وحبّ الملذّات على أنواعها، والفجور، والرّئي، والخلاعة، والدنس، وارتكاب المحرّمات، وإفساد الأولاد، ومُضاجعة البهائم، والشهوات السيّئة مع كافة الأهواء الشائنة المخالفة للطبيعة، كالسرقة، وانتهاك الحرّمات، واللصوصيّة، والقتل، والرفاهيّة الجسدّيّة، والمتعة الناجمة عن مشيئات الجسد والرامية إلى إراحة الجسد أكثر فأكثر، والعرفات، والسحر، والرّقي، والشعوذات، والتكهّنات، وحبّ التبرّج، وتُرّهات الزينة، والحقاقت، والهوس بالتجميل، وتدليك الوجوه، والبطالة المذمومة، والشروء، والقمار، واستخدام المباحج العالميّة بشغف، والسيرة المُحبة للجسد، والتي تجعل الذهن بليدًا، أرضيًّا، بهيميًّا، فلا تدعه يرتفع من ثمّ نحو الله ونحو ممارسة الفضائل.

أصل هذه الأهواء كلّها، أو علّلها إذا ما جاز لنا القول، إنّما هو حبّ اللذّة وحبّ المجد وحبّ المال، والتي منها يولد كلّ شرّ. فالإنسان لا يرتكب أيّة خطيّة إنّ لم يُحدّق به هؤلاء العمالقة أوّلًا - كما يدعوها القديس مرقس الناسك الكليّ الحكمة - ويستحذوا عليه: أي النسيان والكسل والجهل التي تولّدها المتعة والرفاهيّة، وحبّ التمجيد من قبل الناس، والارتباك في الشؤون الحاضرة. أمّا العلّة الأولى لهذه كلّها وأمتها الأكثر شرًّا فهي حبّ الذات كما قلنا، وأعني به ذاك الحبّ الجامح للجسد ولنزواته الهائمة. ذلك أنّ فسق الذهن وانحطاطه بالدعابة والبذاءة إنّما هي أصل الكثير من الرذائل والسقّطات، تمامًا كحريّة الكلام والضحك.

علاوة على ذلك كلّهُ، ينبغي العِلم بأنّ حبّ اللذّة الأهوائيّ متنوّع ويتخذ له أشكالاً عدّة، وأنّ الملذّات التي تخدم النفس تكون عديدة في ما لو لم تحصنّها مخافة الله ومحبة المسيح فتدأب على العمل بالفضائل. ذلك أنّ ربوات من الملذّات تجتذب إليها عيني النفس: فثمة ملذّات الجسد، وملذّات الخيرات الأرضيّة، وملذّات الشهوانيّة، وملذّات المجد، وملذّات الكسل، وملذّات الغضب، وملذّات التسلّط، وملذّات حبّ المال، وملذّات الجشع. وهذه تُغوي الأبصار بمظهرها البراق المستحبّ القادر على اجتذاب أولئك الذين يخشونها هم أنفسهم، والذين لم يُشغفوا بعدّ بالفضيلة مع ذلك فيتحمّلوا صرامتها. ذلك أنّ كلّ تعلّق أرضيّ وكلّ تمسّس إلى المادّيّات إنّما يُغمّران باللذّة والمتعة المشغوف بهما، ليكشفنا له من ثمّ بأنّ شهوة النفس هذه باطلّة مؤذية، حتّى أنّ من ينهرم لها يَنقاد بسببها إلى الحق والغضب، إلى الغمّ والضغينة وإلى الحرمان ممّا كان يتشوّق إليه. وأمّا إن سادت مع هذا الشغف أقلّ عادة عند من استسلم لها، دَبّرت له هذه العادة، بلا وعي ولا شفاء مع الأسف، أن تستحوذ عليه البهيمة إلى النهاية عبر اللذّة المستبذرة فيها.

ذلك أنّ الشهوة متعدّدة الأوجه كما سبق وقلنا، وهي لا تتحقّق في



إذاً، علينا أن نعرف في ذواتنا أفكار الهوى أيضاً، والتي بها تتم كل خطيئة.

ثمانية هي في الواقع كل الأفكار التي تشمل الشر: فثمة فكر الشراهة، وفكر الزنى، وفكر حب المال، وفكر الغضب، وفكر الحزن، وفكر الضجر، وفكر المجد الباطل، وفكر الكبرياء. فإن تزعجنا هذه الأفكار الثمانية أو ألا تزعجنا فهذا مما لا يتعلق بنا. وأما أن تترسخ فينا، أن تحرك فينا الهوى أو ألا تحركه فهذا مما يتعلق بنا. إذ أن الهجوم شيء والتواطؤ شيء آخر. الصراع شيء، والهوى شيء آخر؛ وشيء آخر الموافقة التي تقارب التطبيق وتماثله. وأيضاً ارتكاب الفعل شيء، والأسر له شيء آخر.

فالهجوم هو مجرد ما يقترحه علينا العدو، كأن يقول مثلاً: «افعل هذا ولا تفعل ذاك»، تماماً كما حدث لربنا وإلهنا حين قيل له: «قل لهذه الحجارة أن تصير خبزاً» (متى ٤: ٣)؛ وهذا مما لا يتعلق بنا كما قلنا.

أما التواطؤ فهو القبول بما اقترحه علينا العدو من فكر، كأن ننشغل به أو أن نتحاور وإياه بمنعة رغماً عن إرادتنا. والهوى هو الاعتياد على التواطؤ بداعي اقتراح العدو السيء، كما لو كان تفكراً وتخيلاً متواصلين. والصراع هو مقاومة الفكر لانتزاع هوى الأفكار منه - أي الفكر الأهوائي - أو للموافقة عليه، كما يقول الرسول: «لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر» (غلاطية ٥: ١٧). والأسر هو السلب العنيف غير الإرادي للقلب الذي يستبد به الوهم والعادة المزمنة. والموافقة هي الرضى بهوى الفكر. والفعل هو تماماً التطبيق للفكر الأهوائي الذي تمت الموافقة عليه.

إذاً من تبصر في الأول - أي في الهجوم - بلا هوى، أو بالحرى من عارضه وصده بشدة من أوله فقد اقتطع أواخره دفعة واحدة.

أما القضاء على الأهواء الثمانية فيكون هكذا: تُقَمَّع الشراهة بالعفة؛ والزنى بالشغف الإلهي والسعي إلى الخيرات الآتية، وحب المال بالإشفاق على الفقراء؛ والغضب بالصلاح ومحبة الجميع؛ والحزن العالمي بالفرح الروحي؛ والضجر بالصبر والثبات وأداء الشكر لله؛ والمجد الباطل بممارسة الفضائل في الخفية وبالصلاة المتواصلة في انسحاق القلب؛ والكبرياء بعدم إدانة أو احتقار أحد، كما فعل الرئيسى المشامخ (لو ١٨: ١١-١٢)، بل بأن يحسب المرء نفسه آخر الكل. وهكذا، إذ يتحرر الذهن من الأهواء المذكورة مرتقياً نحو الله، يسير من ثم بسيرة مغبوبة ويقتبل عربون الروح القدس (٢ كور ١: ٢٢). وبعد أن يهجر الحاضرات باللاهوى، والمعرفة الحق بمثل لدى نور الثالث القدوس بصحبة الملائكة الإلهيين، مستنيراً إلى الدهور التي لا نهاية لها.

إذاً، النفس مثلثة الأقسام كما اتضح لنا، وأقسامها الثلاثة هي العقل والغضب والشهوة كما ذكرنا. فإن كانت ثمة محبة وحب البشر في القسم الغضبي، وإن كانت ثمة طهارة وعفة في القسم الشهواني، فعندها يستنير العقل. وأما إن كان كره البشر في القسم الغضبي، والفجور في القسم الشهواني، فعندها يُظلم العقل لا محالة. إذاً، فالعقل يكون

سليماً صحيحاً نيراً عندما تكون الأهواء خاضعة له، وعندما يتأمل في بواعث الخلائق بنقاوة، وعندها يرتفع بالتالي نحو **الثالث المعبط القدوس**. أما الغضب فيتحرّك بحسب الطبيعة حين يحب صاحبه جميع الناس، فلا يغتم من أحد ولا يحقد على أحد. وأما الشهوة فتكون بحسب الطبيعة حين تُثَمِّت الأهواء بالتواضع والعفة والتجرد - أعني بالأهواء لذّة الجسد، والنزوع إلى الممتلكات وإلى المجد العابر - وحين تتجه من ثم نحو **العشق الإلهي** الذي لا يفنى. ذلك أن الشهوة إنما تتحرّك في ثلاثة اتجاهات: إما نحو لذّة الجسد، وإما نحو المجد الباطل، وإما نحو سراب المقتنيات؛ وفي هذا النزوع الضال تكون قد احتقرت **الله ووصاياه الإلهية**، ونسيت ثبّلها الإلهي، وصارت شرسة تجاه القريب، وأظلمت العقل مانعة إياه من أن يرفع نظره إلى الحق. وأما من كان لديه وجدان أسمى، فلسوف يبلغ من ثم **ملكوت السموات** كما سبق القول ويسير بسيرة مغبوبة، في انتظار الغبطة المحفوظة لمُحِبِّي الله، عسانا أن نكون نحن أيضاً أهلاً لها **بنعمة المسيح، آمين**.

وعلياً أن نعرف أيضاً بأن ما من إمكانية للتوصل إلى مستوى فضيلة كهذه ما لم نسع خصوصاً، طوال حياتنا وقدر استطاعتنا، إلى إجهاد أنفسنا بغية اكتسابها باهتمام كدود: كأن نسعى إلى الشفقة مثلاً، أو الاعتدال، أو الصلاة، أو المحبة، أو أي من الفضائل العامة التي انطلاقاً منها يقتضي كل منا الفضيلة جزئياً. وعليه، فمن زاول الشفقة في بعض الأحيان فلا ندعه شفوفاً بحصر المعنى، لأنه نادراً ما كان يزاوئها، وخاصة حين لا يأتي التطبيق حسبما ينبغي ومن أجل إرضاء الله. فالخير لا يكون خيراً إن لم يُزاول كما ينبغي، بل يكون الخير حقيقياً حين لا يقبل بأجر لهذا أو ذاك من الأعمال كحق له، وحين لا يسعى إلى إرضاء البشر وإلى معرفة المجد عن طريق صيت العُنف والجشع والظلم. ذلك أن الله لا يطلب ما يُعمل من الصالحات في الظاهر، بل الغاية من عملها، وهكذا يقول **الآباء المتوشّحون بالله** أيضاً: **أنه عندما ينسى الدهن هدف التقوى يصير عمل الفضيلة الظاهر بل جدوى**. فالأعمال التي تُزاول بدون تمييز وبلا هدف لا تكون بلا جدوى وحسب، بل تلحق الضرر بصاحبها حتى ولو كانت صالحة في ظاهرها. والعكس صحيح، إذ إن أعمالاً موسومة بالشر ظاهراً قد تُزاول بحسب الله ويهدف التقوى، كما سلك ذاك الذي دخل ماخوراً ليختطف البغي من الهلاك. (أنظر حياة القديس أبراموس في «كتاب إفرتينوس - كيف نحيا مع الله» الجزء الرابع ص ٣٧٠-٣٧٨). ويتضح لنا بالتالي أن من يُشفق نادراً لا يُعتبر شفوفاً، وأن من يعتدل قليلاً لا يكون معتدلاً هو أيضاً. بل فاضل هو ذاك الذي طوال حياته كلّها، كان يتوخى الفضيلة بتمييز أكيد في كل شيء ومن أجل كل شيء؛ **ذلك أن التمييز هو أعظم الفضائل كلّها، بل هو ملكة الفضائل وفضيلة الفضائل**.

كذلك الأمر بالنسبة إلى الجهة المعاكسة، فنحن لا ندعو داعراً أو سيكيراً أو كاذباً ذاك الذي انقاد مرة إلى إحدى هذه الرذائل، بل ذاك الذي غالباً ما يسقط فيها ويلبث بلا تقويم.

وعلاوة على ما قد قلناه، ينبغي أن يُعرف خصوصاً أيضاً ما هو أشد

والغنى غير المُتَنَزِع بالضبط أن يرتفع المرء بالفضيلة العملية نحو **التأمل في الخالق**. والفضيلة إنما دُعيت فضيلة لأنها مُفَضَّلَة، وهي مُفَضَّلَة ومُبْتَغَاة لأننا نعمل الصلاح تفضيلاً منا وطوعاً، لا اضطراراً وقسراً. وعليه، فما يُدعى فطنة هو أن يُحْمَل في الذهن ما ينفعه وحسب.

وإن شئت فلنزد على هذا الخطاب البسيط القليل من الكلام مما يكون بمثابة ختم ذهبي له ويتعلق بأشرف خلائق الله كلها، أعني تلك التي على الصورة والمثال والحيوان العاقل الناطق، الإنسان الذي خُلِق هو وحده **على صورة الله ومثاله** بين جميع الخلائق (تك ٢٦:١)، فيقال عن كُلِّ إنسان إنه «**على الصورة**» نسبة إلى كرامة الذهن والنفس فيه، أعني استحالة فهمها، وتعذر رؤيتهما، وحرّيتهما، بل وما لديهما أيضاً من بُعدٍ رئاسيٍّ وإبداعيٍّ وإنشائيٍّ. ويُقال عن «**المثال**» بداعي الفضيلة وتلك الممارسات التي تحمل اسم الله والتي تقتدي بالله، أي سلوكنا تجاه نظيرنا بحسب للبشر: أن نُشْفِق على رفيقنا في العبودية، أن نرحمه، أن نحبّه، وأن نُبدي له كُلَّ رافة وتعاطف. ذلك أن **المسيح الإله** يقول: «**فَكُونُوا**



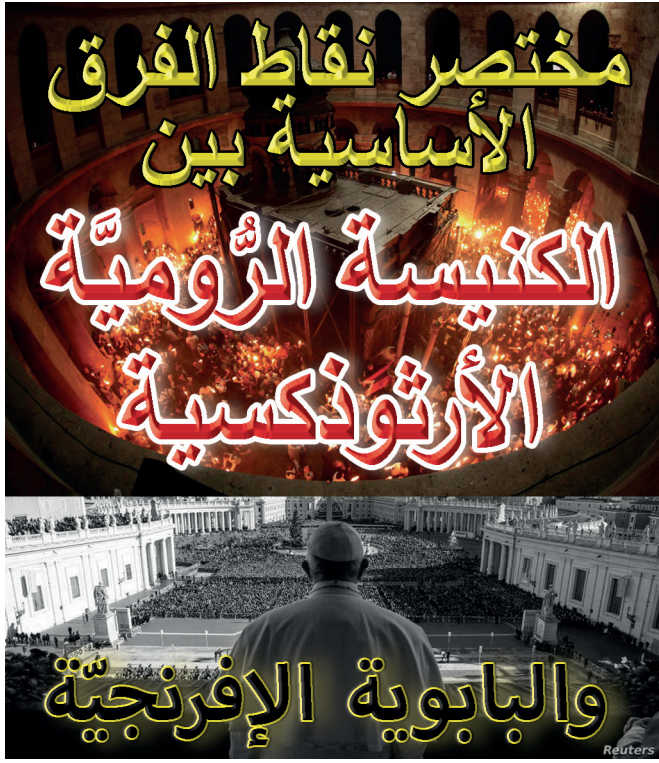
رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ آبَاءَكُمْ أَيْضاً رَحِيمٌ». (لوقا ٣٦:٦). وعليه، فكل إنسان لديه في ذاته ما هو «**على الصورة**»، إذ إن مواهب الله بلا ندامة، «**لأنّ هِبَاتِ اللَّهِ وَدَعْوَتُهُ هِيَ بِلَا نَدَامَةٍ**». (رومية ٢٩:١١)؛ وأمّا من جهة «**المثال**» فقليلون يختارونه، وهم الأفاضل والقديسون وحدهم، أولئك الذين يقنّدون **بصلاح الله** قدر استطاعة البشر. عسانا نكون، نحن أيضاً، أهلاً لمحبة الفائقة الصلاح للبشر، وذلك في إرضائه بالأعمال الصالحة، وفي اقتدائنا بمن أرضوا **المسيح** منذ الدهر، **لأنّه هو الرحيم**، وبه يليق كلُّ مجدٍ وإكرامٍ وسجود، مع أبيه الذي لا بدء له وروحه الكلّي قدسه الصالح والمحبي، الآن وكلّ أوانٍ وإلى دهر الدهرين، آمين.

لُزُوماً لجميع من يطمحون إلى ممارسة الفضيلة وَيَجِدُون في الحياد عن الرذيلة. ألا وهو أنّ النفس بقدر ما هي أفضل من الجسد بلا مضاهاةٍ وبقدر ما تتفوّق عليه وتتفوقه قيمةً في كثيرٍ من الأشياء وفي أعظم الأمور شأنًا، هكذا فضائل النفس - **لا سيّما تلك التي تقتدي بالله والتي تحمل اسم الله** - إنما هي أفضل من فضائل الجسد. ولكن، من اللازم بالمقابل أن تُعتَبَر رذائل النفس على أنّها تتفوّق على أهواء الجسد من حيث طريقة إتمامها، ومن حيث العقوبات التي تتكبّدها، حتى ولو أنّ هذه المسألة تفوت غالبية القوم بلا علمهم، ولا أدري كيف. فالذين يتجنّبون السُّكْر والعهر والزنى والسرقة وما يُدانيها من الرذائل، والذين يفرّون منها أو الذين يقطعونها، غالباً ما يشجبونها جهراً. وأمّا أهواء النفس التي هي أسوأ وأخطر بكثيرٍ من رذائل الجسد هذه، والتي تُخَفِض صاحبها إلى حالة الشياطين، وتقود إلى العقاب الأبديّ المحفوظ لهم أولئك الذين يتعلّقون بهم على نحو يتعدّى إصلاحه، فلا يشعرون بها. أعني الحسد، والضغينة، والخبث، وفقدان الحسّ، وأصل كلّ الرذائل بحسب **الرسول بولس: حب المال «لأنّ محبة المال أصلٌ لكلّ الشرور»** الذي إذ ابتغاه قوم ضلّوا عن الإيمان، وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة. (١ تيموثاوس ١٠:٦)، وما شابهها من الأهواء.

كُل هذه الأمور قد عرضناها على نحو بسيطٍ أوّلٍ كما لو كان لدينا الجهل بشأنها، بيد أنّها صُمِّمَت لتكون خطاباً واضحاً وسهلاً في الفضائل والأهواء، ولكي يُستطاع يُيسر أن يُميّز انقسامها واختلافها وأن يُدرك الفرق ما بينها بدقّة ووضوح. ولذلك جاء عرضنا لكلّ منها في تنوّعه وتعدّد أشكاله، بغية ألاّ تُجْهَل أيّة فكرة عن الفضيلة أو عن الرذيلة قدر الإمكان، وأن نستهي الفضائل منها بسرورٍ - **لا سيّما فضائل النفس التي بها ندنو من الله** - وأن نميل عن الرذائل مُغالين في الهروب منها. فمغبوط هو حقاً ذاك الذي يطلب الفضيلة، ساعياً في إثرها ومنقبّاً بعناية لمعرفة ماهية الفضيلة التي بها يدنو من الله ملتقياً به ذهنيّاً. ذلك أنّه من الفطنة، والشجاعة، والحكمة، والمعرفة الحقيقية،

لا يَكُن الفم وحده من يصوم، بل العين والأذن والرّجلان واليَدان وكافة أعضاء جسدنا أيضاً. لِتَصُم اليَدان في تجنّب الخطف والجشع؛ ولتَصُم الرّجلان بدورهما في تحاشي الإسراع إلى مسارح الإثم؛ ولتَصُم العينان في رفض ما يلدّها من الأشكال المُغْوِية وما يجعلها تُؤخَذ بالجماليات الغريبة. إنّهُ تغيير الحياة كلّها بحيث يُمنَع عن الخطيئة ويُزاول من ثمّ الصوم الحقيقي. وكذلك يليق بالصائم أن يكبح الغضب قبل كلّ شيء وأن يتشكّف على الوداعة والاعتدال، وأن يحتاز قلباً منسحقاً، وأن يطرد عنه ما كان سيّئاً من الرغبات، وأن يجعل نُصَب عينيه بلا انقطاع تلك العين التي لا تنام أبداً والمُحكمة التي لا تفسد، وأن يترفع عن الثروات، وأن يُبدي سخاءً كبيراً في الصدقة، وأن يطرح من نفسه كلّ مراةٍ تُجاه القريب.





على هذا الأساس، لا يمكن أن يتقدّس الإنسان.

ينشأ من هذه العقيدة الأساسية التعليم حول انبثاق الروح القدس من الآب ومن الابن، المطهر وأولية البابا وغيرها. وإلى جانب هذا الفرق الرئيسي بين **الكنيسة الأرثوذكسية** و**البابوية**، في موضوع طبيعة الله وقوته، هناك فروقات كبيرة أدت إلى نشوء مواضيع الخلاف اللاهوتي، ومنها:

● **الفيلوكفية**، أي أنّ الروح القدس ينبثق من الآب ومن الابن ما ينتج عنه الخطّ من رئاسة الآب، وتعريض المساواة بين أقانيم الثالوث للشبهة، فالابن ينقص في شخصه كونه مولوداً، إذ في حال كان هناك وحدة بين الآب والابن يكون الروح القدس خاضعاً وليس مساوياً في القوة والمجد للأقنومين الآخرين، ما ينتج عنه أن يكون «الأقنوم غير المسبّب (steiro)».

● استعمال **الخبز الفطير** في القداس الإلهي ما يخالف الطريقة التي أتمّ بها السيّد المسيح العشاء السري.

● **تقدّيس** التقدمة التي لا تتمّ **باستدعاء الروح القدس**، بل **بإعلان كلمات المسيح التأسيسية** «خذوا كلوا... اشربوا منها كلكم...».

● **النظرة** إلى **تقدمة المسيح على الصليب** على أنّها **إرضاء للعدالة الإلهية**، والتي تصوّر **الله الآب كسيّد إقطاعي متغاضية عن القيامة**.

● **النظرة** إلى **استحقاقات المسيح التي يوزعها البابا**، إلى جانب **النعمة الغزيرة التي للقسّيسين**.

● **فصل أسرار المعمودية والميرون والمناولة الإلهية** وعزلها عن بعضها البعض.

● **عقيدة وراثّة المعصية** من الخطيئة الجدّية.

● **الابتداعات الليتورجية** في كل الأسرار (المعمودية، الميرون،

بالرغم من بعض الفروقات غير الأساسية، لقد حفظ دائماً أساقفة روما القديمة الشركة مع أساقفة روما الجديدة والشرق لغاية ١٠٠٩ - ١٠١٤، حين للمرّة الأولى استولى الأساقفة الإفرنج على كرسي روما القديمة. **لغاية العام ١٠٠٩**، كان بابوات روما وبطاركة القسطنطينية متحدين بصراع مشترك ضد الأمراء الإفرنج وأساقفتهم الذين كانوا في ذلك الوقت هرطوقيين.

لقد أدان الإفرنج في مجمع فرانكفورت عام ٧٩٤ قرارات **المجمع المسكوني السابع والإكرام التبجيلي للأيقونات المقدسة**. وعلى المنوال نفسه، أدخل الإفرنج في العام ٨٠٩ **الفيلوكفية** (لاتينية معناها «والابن») إلى دستور الإيمان، أي عقيدة انبثاق الروح القدس من الآب ومن الابن. في ذلك الحين **أدان البابا الأرثوذكسي** هذه الإضافة. في مجمع القسطنطينية الذي ترأّسه **فوتيوس الكبير** وشارك فيه ممثلون **للبابا الأرثوذكسي**، أُدين كل من أَدان مقرّرات **المجمع المسكوني السابع** مع كل من أضاف **الفيلوكفية** إلى دستور الإيمان. مع ذلك، أضاف البابا الفرنجي **سرجيوس الرابع** عبارة «والابن» إلى دستور الإيمان في رسالة تنصيبه عام ١٠٠٩. من بعده أدخل البابا **بندكتوس الثامن** دستور الإيمان مع عبارة «والابن» إلى خدَم العبادة الكنسية وعندها **خُذِف البابا من ذبتيخا الكنيسة الأرثوذكسية**.

الفرق الأساسي بين **الكنيسة الأرثوذكسية** و**البابوية** موجود في العقيدة المتعلقة **بطبيعة الله غير المخلوقة وقوته غير المخلوقة**. ف فيما يؤمن **الأرثوذكس أن الله طبيعة غير مخلوقة وقوة غير مخلوقة، وبأن الشركة بين الله والخليقة والناس هي من خلال قوته غير المخلوقة، يؤمن البابويون أن الله طبيعة غير مخلوقة تتماهى مع قوته غير المخلوقة (acrus purus)** وبأن شركة الله مع الخليقة ومع الناس هي من خلال قواه المخلوقة، وحتى أنّهم يؤكّدون أن في الله قوى مخلوقة. وعليه فإن نعمة الله التي يتقدّس بها الإنسان هي نعمة مخلوقة. لكن

الكهنوت، الاعتراف، الزواج، ومسحة المرضى).

● ممارسة عدم مناولة الشعب من "دم" المسيح.

● أوليّة البابا، التي بحسبها يكون البابا "أسقف الأساقفة" (episcopus episcoporum) ومصدر الكهنوت والسلطة الكنسيّة، وهو الرأس المعصوم والقائد الأول للكنيسة التي يحكمها بطريقة ملكية كممثل للمسيح على الأرض. بهذا المفهوم يرى البابا نفسه خليفة للرسول بطرس الذي أخضع له الرسل الباقين أنفسهم، بمن فيهم بولس.

● غياب التكافل في ممارسة الخدم.

● عصمة البابا

● عقيدة الحبل بالعدراء بلا دنس وتطور العبادة المريمية (mariolatry) التي بحسبها تُرفعُ العدراء الفاتكة القداسة إلى إلهة ما يتحوّل إلى مفهوم يقود إلى رباعية مقدسة (بدل الثالوث).

● نظرة تشابه الأشياء (analogia entis) وتشابه الإيمان (analogia fidei) المتحكّمة بالغرب.

● تقدّم الكنيسة المستمر في اكتشاف الفجوات في الحقيقة المعلنة.

● عقيدة القدر المطلق.

● المفهوم المتعلّق بالمنهجية الواحدة لمعرفة الله والمخلوقات، وهي تقود إلى دمج اللاهوت بعلم المعرفة.

إلى هذا، يكمن الفرق العظيم بالممارسة، والذي يشير إلى نمط اللاهوت، في الفرق بين السكولاستيكية في الغرب واللاهوت الهدوي في الكنيسة الرّومانية الأرثوذكسيّة. في الغرب، تقدّمت السكولاستيكية كمسعى لإيجاد معنى كل أسرار الإيمان عن طريق المنطق (أنسلم كانتربري وتوما الأكويني). بالمقابل، سيطرت الهدويّة في الكنيسة الأرثوذكسية وهي تطهير القلب وإنارة الفكر (النوس) بهدف اكتساب معرفة الله. الحوار بين القديس غريغوريوس بالاماس وبرلعم السكولاستيكي والاتحاديين مميّز في إظهار الفرق.

من نتائج كل ما سبق هو أن في البابوية انحدار من الإكليسيولوجيا الأرثوذكسية. في الكنيسة الأرثوذكسية يُعطى التّأله قيمة عظيمة. فالتّأله هو الشركة مع الله من خلال معاينة النور غير المخلوق، من ثمّ يجتمع معانيو النور الإلهي في مجمع مسكوني ويحدّدون بدقة الحقيقة الموحى بها بشروط مشوشة. بينما في البابوية تُعطى القيمة العظمى للمراسيم البابوية، فبالواقع، تقوم المجمع المسكونية على البابا بما يتناغم مع اللاهوت اللاتيني: «إن سُلطة الكنيسة موجودة فقط عندما تُؤسّس وتُتناغم مع إرادة البابا. بينما تبطل في ظرف معاكس». فهكذا تكون المجمع المسكونية «مجامع مسيحية تُعقد بموثوقية البابا وتحت سلطته وبرئاسته». فإذا ترك البابا قاعة الاجتماع يصبح المجمع المسكوني بلا قوة.

كتب الأسقف ماير «لا يوجد كاثوليكي أكثر دقة من ذاك الذي يعلن: أوّمن ببابا واحد إلّا ذاك الذي يقول: أوّمن أيضًا بكنيسة واحدة».

إلى هذا، «إن قيمة الأساقفة ودورهم في الكنيسة الرومانية ليس أكثر من مجرد تشخيص للسلطة البابوية» التي يخضع لها الأساقفة أنفسهم كممثل أي مؤمن بسيط. باتجاه هذه الإكليسيولوجية البابوية يُشدّد بشكل جوهري على أن: «السلطة الرسولية بقيت عند الرسل ولم تمرّر إلى خلفائهم الأساقفة. وحدها سلطة بطرس البابوية التي يقع الجميع تحتها مرّت إلى خلفاء بطرس أي البابوات». في موازاة ما سبق، تتمسّك «الكنيسة» البابوية بأن كل كنائس الشرق انفصالية ومعطوبة. إنّها تتقبلنا كنائس شقيقة فقط بالتدبير لأنّها ترى نفسها الكنيسة الأم بينما ترانا بناتها.

الفاتيكان هو سلطة أرضية وكل بابا هو مدير لقوة الفاتيكان. إنّها مسألة تنظيم بشري المركز، عالمي لا بل بالواقع تنظيم قانوني دنيوي. إنّ قوة الفاتيكان الأرضية تأسست في العام ٧٧٥ علي يد بايين القصير (Pepin) والد شارلمان، وحتى في زمننا اعترف بها موسوليني في العام ١٩٢٩. إن مصدر إعلان السلطة الأرضية للبابوية مهم كما أعلن البابا بيوس السادس «إن من يتجنّد للفائدة الإلهية على الأرض لا يستطيع أن يخضع لسلطة أرضية». المسيح كان مُطيعاً للسلطة الأرضية، أمّا البابا فلا يمكنه ذلك! تؤسّس السلطة البابوية الشيوقراطية لأن الشيوقراطية محددة بأنّها تُصنّف كإلا السلطتين الأرضية والكنسية في مبدأ واحد. اليوم يمكننا أن نجد سلطات ثيوقراطية في الفاتيكان وفي إيران.

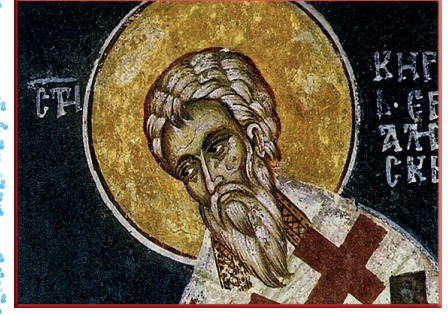
البابا إينوسنت الرابع (١١٩٨-١٢١٦) ثبت الطبيعة المميّزة لهذه الأمور في خطاب تنويجه «من عنده العروس هو العريس. ولكن العروس (الكنيسة) لم تقترن ببيدين فارغتين، بل هي تجلب معها مهرًا غاليًا بشكل لا يقارن، كامل الأمور الروحية وامتدادات الأشياء الأرضية، فيض وسخاء كليهما... إن مساهمتكم في الأمور الأرضية أعطتني الإكليل المرصع، تاج الأسقفية، تاج المملكة وجعلتني ممثله، في الثوب وعلى الركبة المكتوب عليها: ملك الملوك ورب الأرباب».

إذًا، يوجد فروقات لاهوتية عظيمة أدانها مجمع فوتيوس الكبير ومجمع غريغوريوس بالاماس، عل ما يظهر في سينوديكون الأرثوذكسية. إلى هذا فإنّ آباء الكنيسة لغاية القرن التاسع عشر أدانوا كل خداع البابوية. فالأمر لا يلطفه أو يحسّنه اعتذار شكلي ما يقدمه البابا عن خطأ تاريخي، بينما تبقى نظراته اللاهوتية خارج الوحي، وتحوّل الإكليسيولوجيا إلى سلوك محصور ومحدّد، لأن البابا يقدّم نفسه كقائد للعالم المسيحي وخليفة الرسول بطرس، والنائب الممثل للمسيح على الأرض، وكأن بالمسيح قد يعطي سلطته للبابا ويكفّ عن الحكم بالبركة في السماوات.

● المطهر: فكرة سخيصة، وجود لا وجود لما يدلّ عليه. أي لا وجود له لا في الكتاب المقدّس ولا في التقليد الشريف. وكل ما يُنَى على غير الكتاب المقدّس وتعليم الآباء المتألهين هرطقة عظمي تؤول هلاك النفوس.

الميتروبوليت إيروثيوس فلاخوس نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

العظة التاسعة عشرة، الأولى في الأسرار لأبينا القديس كيرلس رئيس أساقفة اورشليم في العُمَاد : المراسيم الافتتاحية



تتمة

العظة التاسعة عشرة

٦ - هلموا تعلموا ما حصل فيكم يوم عمادكم

ثم تقول: «... وبكل أباطيلك». وأباطيل الشيطان هي مُنكرات المسرح وسباق الخيل، ومطاردة الوحوش في الميدان وكلّ الأباطيل من هذا القبيل التي يطلب قديس الله أن ينقذه منها قائلاً: «إصرف عيني عن النظر إلى الباطل» (مز ١١٨: ٣٧). لا تسع إلى مُنكرات المسرح حيث ترى تمثيل بعض مشاهد من الحياة بحركات جسدية مُزرية، وتحضر رقصات جنونية لرجال مُحشّنين. وتجنّب مطاردة الوحوش في الميدان حيث يتعرّض القنّاصة لأنياب الوحوش الضارية رغبة في إشباع بطونهم الجائعة. إنهم يودّون العناية ببطونهم بتأمين الطعام لها، ولكنهم في الواقع يُصبحون هم طعام الوحوش المفترسة. والحقيقة أنهم يعرضون حياتهم في هذه المصارعات الفردية لإرضاء إلههم الخاص، وأعني به بطونهم (في ١٩: ٣). واهرب كذلك من سباق الخيل حيث تضمحل قوى النفوس وتتلاشى. كلّ ذلك في الواقع هو أباطيل الشيطان.

٧ - وغير ذلك من الأباطيل

وكلّ ما يُعلّق في مجتمعات عبدة الأصنام وفي أعيادهم، سواء من لحم أو أي شيء آخر من هذا القبيل، كلّ ذلك دنس بسبب استدعاء الشياطين النجسة، ويعتبر من أباطيل الشيطان. وكما أنّ خبز الإفخارستيا وخمرها هما عاديان قبل استدعاء الثالوث الأقدس عليهما، فيصبح الخبز جسد المسيح والخمر دم المسيح بعد الاستدعاء، كذلك هذه الأطعمة المخصّصة لأباطيل الشيطان هي بطبيعتها أطعمة عادية، ولكنها تُصبح نجسة باستدعاء الشياطين عليها.

٨ - ... وعبادات الشيطان

وبعد ذلك تقول: «... وبجميع عباداتك». عبادات الشيطان هي الصلوات التي تُقام في معابد الأصنام، والإكرام الذي يُؤدّي للأصنام الجامدة، مثل إضاءة المصابيح، أو رفع البخور بجوار الينابيع والأنهار، كما يفعل البعض ممن تخدعهم الأحلام أو يغترهم الشيطان، ظناً منهم أنهم سيحدثون فيها الشفاء لأمراضهم الجسدية أو ما شابه ذلك من مزايا أخرى. فعليك أنت ألا تُزاول مثل هذه الأعمال. وتُعتبر من عبادات الشيطان أيضاً أعمال العرافة والتنجيم والفأل والأحجية والأفعال السحرية والخرافية وما شابهها. فتجنّب

كلّ ذلك لأنك لو انسقت إليها، بعد أن تكون قد كفرت بالشيطان وتبعته المسيح، ستجد المُستبدّ أقوى. (إذ لربما كان في الماضي يعاملك كأحد أتباعه المُخلصين، فكان يُريحك من قسوة عبوديته، ولكنك هذه المرّة قد أثرت حنقه عليك) وستُحرّم من المسيح وتُعرّف إلى الشيطان. ألم تسمع ما أوردّه العهد القديم في لوط وبناته؟ «وَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ كَانَ الْمَلَائِكَةُ يُعَجِّلَانِ لُوطاً قَائِلَيْنِ: «قُمْ خُذِ امْرَأَتَكَ وَابْنَتَيْكَ الْمُؤْخَوْدَتَيْنِ لِئَلَّا تَهْلِكَ بِإِثْمِ الْمَدِينَةِ». وَلَمَّا تَوَاتَى، أَمْسَكَ الرَّجُلَانِ بِيَدِهِ وَبِيَدِ امْرَأَتِهِ وَبِيَدِ ابْنَتَيْهِ، لِسَفَقَةِ الرَّبِّ عَلَيْهِ، وَأَخْرَجَاهُ وَوَضَعَاهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ. وَكَانَ لَمَّا أَخْرَجَاهُمْ إِلَى خَارِجٍ أَنَّهُ قَالَ: «اهْرُبْ لِحَيَاتِكَ. لَا تَنْظُرْ إِلَى وَرَائِكَ، وَلَا تَقِفْ فِي كُلِّ الدَّائِرَةِ. اهْرُبْ إِلَى الْجَبَلِ لِئَلَّا تَهْلِكَ». فَقَالَ لَهُمَا لُوطُ: «لَا يَا سَيِّدُ. هُوَذَا عَبْدُكَ قَدْ وَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ، وَعَظُمْتَ لَطْفُكَ الَّذِي صَنَعْتَ إِلَيَّ بِاسْتِيقَاءِ نَفْسِي، وَأَنَا لَا أَقْدِرُ أَنْ أَهْرُبَ إِلَى الْجَبَلِ لَعَلَّ الشَّرَّ يُدْرِكُنِي فَأَمُوتَ. هُوَذَا الْمَدِينَةُ هَذِهِ قَرِيبَةٌ لِلْهَرَبِ إِلَيْهَا وَهِيَ صَغِيرَةٌ. أَهْرُبْ إِلَى هُنَاكَ. أَلَيْسَتْ هِيَ صَغِيرَةً؟ فَتَحَيَا نَفْسِي». فَقَالَ لَهُ: «إِنِّي قَدْ رَفَعْتُ وَجْهَكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَيْضاً، أَنْ لَا أَقْلِبَ الْمَدِينَةَ الَّتِي تَكَلَّمْتُ عَنْهَا. أَسْرِعْ أَهْرُبْ إِلَى هُنَاكَ لِأَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئاً حَتَّى يَنْجِيَءَ إِلَى هُنَاكَ». لِذَلِكَ دُعِيَ اسْمُ الْمَدِينَةِ «صُوغَرَ». وَإِذْ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ عَلَى الْأَرْضِ دَخَلَ لُوطٌ إِلَى صُوغَرَ، فَأَمْطَرَ الرَّبُّ عَلَى سُدُومَ وَعَمُورَةَ كِبَرِيَّتاً وَنَاراً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ. وَقَلَبَ تِلْكَ الْمُدُنَ، وَكُلَّ الدَّائِرَةِ، وَجَمِيعَ سُكَّانِ الْمُدُنَ، وَنَبَاتِ الْأَرْضِ. وَنَظَرَتْ امْرَأَتُهُ مِنْ وَرَائِهِ فَصَارَتْ عُمُودَ مِلْحٍ. وَبَكَرَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْعَدِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي وَقَفَ فِيهِ أَمَامَ الرَّبِّ، وَتَطَلَّعَ نَحْوَ سُدُومَ وَعَمُورَةَ، وَنَحْوَ كُلِّ أَرْضِ الدَّائِرَةِ، وَنَظَرَ وَإِذَا دُخَانُ الْأَرْضِ يَصْعَدُ كَدُخَانِ الْأُتُونِ. وَحَدَّثَ لَمَّا أَخْرَبَ اللَّهُ مَدُنَ الدَّائِرَةِ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَرْسَلَ لُوطاً مِنْ وَسْطِ الانْقِلَابِ. حِينَ قَلَبَ الْمُدُنَ الَّتِي سَكَنَ فِيهَا لُوطٌ». (تك ١٩: ١٥-٢٩). ألم ينج مع بناته بعد أن لجأ إلى الجبل، في حين أن زوجته تحوّلت إلى عمود ملح، أصبحت أشبه بنُصْبٍ أَقِيمَ إلى الأبد، ليدكرنا برغبة فاسدة، ونظرة أُلْقِيَتْ إلى وراء؟ فاحرص على نفسك، وبعد أن تكون وضعت يدك على الحراث. «لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِخْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللَّهِ». (لوقا ٩: ٦٢)، فلا تتراجع إلى وراء نحو الأفعال المرّة لهذه الحياة، بل تخلّص إلى الجبل (تك ١٩: ١٧) نحو يسوع المسيح، فإنه «قُطِعَ حَجَرٌ بَعِيرٌ يَدَيْنِ... وَمَلَأَ الْأَرْضَ كُلَّهَا». (دانيال ٢: ٣٤).